زكرياء قاسم وعلي

# تاريخ الكِتابة العربية

## الفصل الأوَّل

- **أولا:** أصْلُ الكِتابة العربية بيْن الأسْطورة والنُّقوش الأثرية.
أ- أصل الكِتابة العربية من خلال الأسطورة والإخباريين.
ب- أصل الكِتابة العربية من خلال النُّقوش الأثرية.

الْخَطُّ الجَنُوبي: خَصَائِصُهُ ومُمَيِّزَاتُهُ الخَطُّ الشَّمَالِي: خَصَائِصُهُ ومُمَيِّزَاتُهُ: بيْن السُّريانية والعربية. بيْن النَّبَطِيَّة والعربية.

ت - النُّقُوشُ العَرَبية قبْل الإسْلام: نَقْش زَبَد نَقْش أسِيس. نقْش حَرَّان. نَقْش أُم الجِمال الثاني.

**ثانيا:** الكِتَابَة في المَرحلة الإسلامية 610 / 661.

أ- قُبَيْل الإسلام

ب - ظُهور الإسْلام: الفَتْرَة النَّبَوية ( 610 / 632 ).

ت - ظُهور الإسْلام: العَصْر الرَّاشِدي ( 632 / 661 م ). عهد أبي بكر، عهد عُمر بن الخطاب وعهد عثمان بن عفّان: من القرآن إلى المُصحف، عهد علي بن أبي طالِب.

ج - نُصُوصٌ وخُلاَصَاتٌ.

**ثالِثا:** الكِتابة في العَصْر الأُمَوي (40-132 هـ /661-750م)

أ- ظُهور الشَّكْل / النَّقْط في الكِتابة.

ب- أبُوالأسْوَد الدُّؤَلِي ( تُوفِيَ 69 هـ/ 689 م) وتَعميم الشَّكْل.

ت - تَلاَمِيذُ أبي الأسود: ظُهُورُ الشَّدَّة.

ج - بَعْضُ النُّصُوص الأُمَوِيَّة.

**رَابِعا:** الْعَصْر الْعَبَّاسي الأوَّل (132- 232 هـ / 750- 846 م).

أ- الإعْجَام.
ت - الشَّكْلُ: الْخَلِيلُ (توفي 175 هـ/ 792م) والْحَلُّ النِّهَائِي.

## الفصل الأوَّل

### نشأة الكِتابة العربية

مقدِّمة: كَثيرون هم الذين لا يميِّزون، بيْن الكِتابة والخط، وسوف يعتقدون أنّنا سوْف نتحدّث عن الخط كفنّ. كنا نتمنَّى ذلك لكنه ليْس بإمكاننا. سوْف نتطرَّق إلى الكِتابة العربية كأداة تَعبير وتواصُل، دون التطرُّق إلى جانِبها الإبداعي الزُّخرفي الذي هوالخط. وأوّل سؤال نبدَأ به هوعن أصل الكِتابة العربية من أيْن جاء؟

**أوَّلا: أصْلُ الكِتابة العربية بيْن الأسْطورة والنُّقوش الأثرية.**

في بحثنا عن جُذور الكِتابة العربية يُمكننا الحَديث عن مُقارَبتيْن اثنتين: الأولى هي مُقاربة أسطورية ليْست لها أيةُ قِيمة عِلمية. والثانية هي مُقاربة عِلمية تاريخية أثرية.

**أ- أصل الكِتابة العربية من خلال الأسطورة والإخباريين.**

تكاد تختصر هذه المُقاربة تَفسيرها لأصل الكِتابة العربية، بقوْلها: " إنّها وحي من الله" وهو"تَفسير" يؤوِّل آيتيْن قرآنيتيْن من سورة البقرة ليْس إلاّ.

- الآية 31:" وعَلَّم آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ"

- الآية 33:" قَالَ يا آدَمُ أنْبِئْهُمْ بِأسْمائِهِمْ"

لن ندخُل في نِقاش حوْل صِحة هذا التَّأويل أوعدم صحته ونكتفي بالقوْل إن مَفهوم الوحي الإلهي الّذي أنتج الكِتابة لا يدخُل في سِياق العلم لسبب بَسيط هوعدم إمكانية دِراسته.
هذه المُقارَبة الّتي تجعَل الكِتابة العربية ذات مَصدر خارجي غيْر إنساني، نجدها في كِتابات مَجموعة من إخباريينا وأهمهم:

- القَلْقشندي في كِتابه " صُبْحُ الأعْشَى في صِناعة الإنشاء" ج3 ص **10** يدَّعي أنّ آدم هوأول من كتَب بالعربية.

- ابن عبد ربه الأندلسي في كِتابه " العِقْدُ الفَريد" ج3 ص157 يزعُم أنّ النبي إدريس هوأول من كتَب بالعربية. ثم يعود، أسطُرا بعد ذلك، ليقُول إنّ النبي إسماعيل هوأول من كتَب بالعربية.

- محمد بن جَرير الطَبَري في كِتابه" تاريخ الرُّسُل والمُلُوك" المَعروف أيضا تحت عِنوان " تاريخ الأمَم والمُلُوك" ج1ص167 يزعُم أنّ "وَخْنُوخ - إنُوخ؟" هوأول من كَتَب بالعربية.

تَعليق: ما يقُوله الإخباريون يُثير انتباهنا من جانِبيْن:
الأوّل: هوكَوْن السؤال الّذي يَطرَحونه عن (أول من كتب) سؤال لا مَعنى له، بحكْم أنّ الكِتابة لا يُمكن أنْ تكُون من اختراع إنسان واحد حتى وإنْ كان نبيا.
والثاني: هوكوْن التضارُب في الآراء راجع إلى ضُعف النقد التاريخي في كِتاباتهم. فهم يُعطون الخبر كما نُقِلَ إليْهم دون تَدقيق. وكما يَقول الطَّبري " وقَدْ أدَّيْنَاهُ (الخَبَر) إلَيْكَ كَمَا أُدِّيَ إلَيْنَا"

**ب- أصل الكِتابة العربية من خلال النُّقوش الأثرية.**

لم تبدَأ البُحوث الأثرية حوْل هذا المَوضوع إلاّ في القرن التاسِع عَشر المِيلادي. ومن خلال الدراسات الّتي أُجريَت نجد أنّ بلاد العرب عرفت نوعيْن مُتباينيْن من الكِتابة. الأول يُعْرَفَ بِـ

"الخَطّ الجَنُوبي" والثاني يُعْرَفُ بِـ"الخَطّ الشَّمالي". فما هي المُميِّزات الخاصة لكلٍّ مِنهما؟ ومن منهما هوأصل للكِتابة العربية؟

## الْخَطُّ الجَنُوبي: خَصَائِصُهُ ومُمَيِّزَاتُهُ.

هومَجموعة من الخُطوط المُتشابِهة. أشهرها هوالخط الحِمْيَري. وهوخط استعمله سكان جنوب بلاد العرب لأكثر من ألف سنة في اليمن وغرب عُمان وجنوب السعودية حاليا. أما خَصائصه فيُمكن إجمالها فيما يلي:

1- حُروفه مُنفصِلة غير مُتَّصِلة: أيْ أنَّ كلمة "مُحَمَّد" في هذه الكِتابة ستكون هكذا"م ح م د". إنّ هذا الانفصال في الحروف يطرَح مُشكِلة كَبيرة بحيْث لا نعرف أيْن تبتدأ الكلمة ولا أيْن تنتهي. وفي فَترات لاحِقة بدؤوا يضَعون خطا مائلا ( / ) حتى يفصِلوا بيْن كَلمة وأُخْرى.

2- حرف الراء هوالحرف الوَحيد الَّذي يُشبه الحُروف العربية الحالية. وهوشيء يجعَلنا نفهَم ما يُقَالُ ولا نفهَم ما يُكْتَبَ.(امرئ القيس مثلا)

3- ليْس لهذا الخطّ اتّجاه واحد في الكِتابة. فهويُكْتَبُ من اليمين إلى اليسار وعند الرُّجوع إلى السطر يختلف اتّجاه الكِتابة ليُصْبِحَ من اليسار إلى اليمين. وفي بعض النُّقوش نجد اتّجاه الكتابة من الأعلى نحوالأسفل. وكل هذا صعب القبول كأصل للكِتابة العربية.

4- في هذه اللغة نجد جمع المُذكَّر والمُؤنَّث السالميْن وكذلك جمْع التَّكسير. وهوشيء مُطابق للعربية.

5- الخط الحِمْيَري يتكوَّن من 29 حرفا تُكْتَبُ فيه الصَّوامِتُ بدون الحركات القَصيرة.

6- في هذه الكِتابة يظهَر وزن " أفْعَلَ " الحالي على وزن "هَفْعَلَ" أيْ بدلا من " أخْرَجَ " نجد " هَخْرَجَ " وهذا يَعني أنّ هذه اللُّغة تأثّرتْ بالعِبْرية والإثيوبية.

وعند انهيار سد " مَأْرِب" في اليمن، هاجَر الناس، على شكل مَوجات بشرية، إلى شَمال بلاد العرب. وقد استقر جزء كَبير منهم في يَثْرِبِ (المَدينة).

المؤرِّخ الكَبير ابن خلدون الَّذي زار هذه المَنطقة خِلال رحلته شرقا وغربا (1354 /1355م ) يقول " كَانَ بالِغا مَبْلَغَهُ مِنَ الإحْكَامِ والإتقانِ والجَوْدَةِ في دَوْلَةِ التَّبَابِعَةِ لِمَا بَلَغَتْهُ مِنَ الحَضارة والتَّرَفِ وهوالمُسَمَّى بالخَطِّ الحِمْيَري"

نخلُص إلى القوْل إنّ الدراسات العلمية الأثرية، استنادا على الخَصائص الَّتي ذكرناها، تستبعد أنْ يكون الخط الجنوبي أصلا للكِتابة العربية.

## الخَطُّ الشَّمَالِي: خَصَائِصُهُ ومُمَيِّزَاتُهُ.

كان شمال الجَزيرة العربية مُرتبِطا بالحَضارات المُجاوِرة ( العراق/مصر/ الشام) وانتشرت به مَجموعة من اللُّغات والخُطوط كلها من أصل سامي مثل العِبْرية والآرامِية والسُّرْيانية والنَّبَطية. وهذان الأخيران سنتوقَّف عندهما بشيء من التَّفصيل.

### بيْن السُّريانية والعربية

لكونهما من نفس المَجموعة اللُّغوية، يوجد تشابُه كَبير بيْن هاتيْن اللُّغتيْن. وبما أنّ ما يهمنا في هذا البحث هي الخَصائِص المُشترَكة بيْن الخطيْن، فإنَّنا سنتوقَّف قَليلا عندها لِنجد:
1- كلُّ حرف في السُّريانية له ثلاثة أشكال مُختلِفة قَليلا في الكِتابة حسب مَوقِعه في أوَّل، وسط أوآخِر الكلمة. وهونفس الشيء في العربية.
2- حُروف: الدال والراء والألف والواو( د/ر/ا/و) لا ترتبط من جِهة اليسار بباقي الحروف. نفس الشيء نجده في العربية.
3- حرف الباء والجيم والدال والكاف والنون والعين والفاء والصاد، تُكْتَبُ بنفس الطَّريقة في الخطيْن.
4- باقي الحُروف في الخطيْن تختلف تماما عن بعضها.
هناك من القُدامى من لاحظ شِدة الشبه بيْن الخطيْن. فهذا البَلاذِري في " فُتُوح البُلْدَان" ق3 ص 579 يقُول:" إنَّ القَلَمَ العَرَبِي الشَّمَالِي قَدْ قِيسَ عَلَى هِجَاءِ السُّرْيَانِيِّةِ". وإذا كان البلاذري في هذه المُلاحظة لا ينطلِق من أية حُمولة إيديولوجية، فإن الباحِثين المُحدثين، خُصوصا باحِثوالقرن التاسع عشر، يتوقَّفون عند نفس الاستنتاج لأسباب إيديولوجية محضة، أولها ارتباط السريانية بالمَسيحية. وهم بالتالي يرفُضون البحث في الآرامية وفَصيلها النبطي.

## بيْن النَّبَطِيَّة والعربية

النبطية كَخط ينحدِر من الكِتابة الآرامية فهوقد تطوَّر منها في القرن الثاني قبل المِيلاد. وفي القرن الأول قبل المِيلاد بدأ يستقلُّ بنفسه ويأخُذ مميِّزاته الخاصة به. من خلال النُّقوش الأثرية النبطية الَّتي تَزيد على ثلاثة آلاف نقش نستخلص المميِّزات الآتية:
1- النبطية تُكْتَبُ دائما من اليمين إلى اليسار مثل العربية.
2- النبطية فيها إثنان وعِشرون حرفا كلها مَوجودة في العربية كذلك.

3- الحُروف المُتَّصِلة وغير المتصلة من جِهة اليسار هي نفسها في الكتابتيْن.
4- الألف في بعض الأسماء والكلمات تسقُط ولا تُكْتَبُ فنجد مثلا: "حرث" بدَلا من "حارث". نفس الظاهرة مَوجودة في العربية.
5- تاء التَّأنيث المربوطة تُكْتَبُ مَبسوطة: أي "زوجت" بدلا من "زوجة". نفس الظاهرة نجدها في العربية.
6- غِياب نُقط الإعجام فحروف مثل: بـ / تـ / ثـ / نـ / يـ تُكْتَبُ بدون نُقط وهوشيء نجده في العربية.
7- حرف لا (لام ألف) غير مَوجود في النبطية. في العربية تأخَّر كَثيرا ظُهور هذا الحرف.
8- التَّعريف بـ "اَلـ " مَوجود في النبطية والعربية.
كل هذه الخَصائص المُشتركَة بيْن الكتابتيْن جعَلت بعض المتخصِّصين يعتبرون أنّ الكِتابة النبطية هي أصل للكِتابة العربية. فهذا الأستاذ يَحْيَى خَلِيل نَامَه[1] يقول : " الخط العربي هوآخِر حَلْقة في تطوُّر الخط النبطي" ونفس الفِكرة تَقريبا يعبَّر عنها مَحْمُود فَهْمِي حِجَازِي[2] بقوله إنَّ الأنباط " أوَّل شعب عربي كتَب وهوأوَّل من علّم باقي العرب الكِتابة". وقبْل أنْ نَمُرَّ إلى دِراسة النُّقوش الأثرية العربية، لابُدَّ أنْ نتوقَّف قَليلا لنتعرَّف على الأنْبَاط.

## من هم الأنباط؟

الأنباط هم عرب رُحَّل عاشوا في جَنوب العراق وجَنوب سُوريا وفي شَمال السَّعودية، وفي الأردن وفلسطين وشبه جَزيرة سيناء. احترفوا الزراعة والتِّجارة لكونهم في مُلتقى الطُّرق التجارية العالمية في ذلك الوقت والَّتي سيْطروا عليها تَماما ابتداء من مُنتَصف القرن الرابِع قبل المِيلاد. وما بيْن القرن

---

[1] "أَصْلُ الخَطِّ العَرَبي" ص 85

[2] " عِلْمُ اللُّغَةِ العَربية" ص 182

الثاني قبل المِيلاد والقرن الثاني بعد المِيلاد ( أربعة قُرون) كانت لهم دولة قَوية جدا سيْطرت على طُرق القَوافِل القادِمة من صَنْعَاء ومَكَّة ويَثْرِب ( المَدينة) وكذلك من العراق. وحَكَمت مَدَائِن صَالِح ودِمَشْق. بَنَتْ مَدِينة البَتْرَاء. وقد حافَظ هذا الشعب على رَوابِط قوية مع عرب الجَزيرة. وإنْ كنا غير متأكّدين من أنَّ الأنباط هم حقا من بَنَى مَدينة بابِل فإنَّنا مُتأكّدون من أنَّهم هم الَّذين بَنَوا أرْوَعَ مِعمار عربي على الإطلاق وهومَدِينة " البَتْرَاء " وهي مَدينة تُوجد في الأردن، سَبعين كِيلومترا جَنوب البحر المَيَّت، وهي عِبارة عن مَدينة مَنحوتَة داخِل جبل. وقد تحدّث القرآن عنهم وعن مَدينتهم في سورة 26 (الشُّعَراء) آية 149 وعاب عليْهم كَثرة التَّرَف بقوله: " وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ " أيْ دُونَ الحاجة إليْها ولكن فقط بِدافِع الافتخار. ومنهم قوْم النبي هُود وصالِح المَذكورين في القرآن. إنّ مُمارَسة الأنباط للتِّجارة الَّتي تحتاج إلى تَسجيل البيْع والشراء والقُروض، وتَأسيس دُوَل تحتاج إلى دَفاتِر وسِجلات للمَداخيل والمَصاريف والقوانين، بالإضافة إلى مُخالَطة شُعوب مُتقدِّمَة، كلُّ هذا ساعَد هذا الشعب العربي لكي يكُون بحق أوَّل شعب عربي كَتب في شَمال الجَزيرة.
إنّ كلَّ ما رأيْناه من تشابُه، يصل حد التطابق، بين الكِتابة النبطية والعربية، تعزِّزه النُّقوش الأثرية العربية الَّتي هي مَوضوع الفقرة التالِية.

## النُّقوشُ العَرَبية قبْل الإسْلام.

وصلتْنا مَجموعة من النُّقوش العربية من القرن السادس المِيلادي أغلبها من جَنوب سُوريا. وفي هذا الدرْس سنتطرَّق إلى 1= نقْش زَبَد، 2= نقْش أسِيس. 3= نقْش حَرَّان. 4= نقْش أُمّ الجِمال الثانِي. آخِذين في ذلك الاعتبار الكرونولوجي.

- نقْش زَبَد (أُنْظُر اللَّوْحة المُرافِقة)

يرجع إلى سنة 512م وزَبَد هي مَنطقة تُوجد جَنوب شَرْق حَلَب. وهوعِبارة عن سطر واحدٍ كُتِبَ على جِدار واجِهة كَنيسة مَسيحية ( أُنْظُرْ النقْش في اللَّوحة المُرافِقة) وقد جاء فيه:" ...ر الاله سرحوبر ا مع منفووهليا برمر القس/// وسرحوبر سعدووستروسريحو..." هذا السطر يحتوي على مَجموعة من الأسماء الشخصية هي ربَّما لمن بَنَوْا أوأمَروا ببناء الكَنيسة.

- **نَقْش أسِيس** (أُنْظُرْ اللَّوحة المُرافِقة)
يَعود إلى سنة 528م وأسِيس هوجَبَلٌ على بُعْدِ مِئة كِيلومتر جَنوب شَرق دِمَشْق. وهوعِبارة عن نص عربي صَغير من أربعة أسطر قَصيرة. وقد جاء فيه: " ابراهيم بن مغيرة الأوسي أرسلني الحارث الملك على سليمان مسيلحة سنة 423" النص واضِح جدا وقِراءته سَهلة أيضا وكل الأسماء والوَقائع الَّتي يذكُرها مَعروفة في تاريخ سُوريا.

- **نَقْش حَرَّان** (أُنْظُرْ اللَّوحة المُرافِقة)
يَعود إلى سنة 568م. وحَرَّان هي مَركز حَضاري مُهم جدّا في جَنوب تركيا. وقد وُجِدَ هذا النص في حُطام كَنيسة وقد جاء فيه " ..نا شرحيل بن طلموبنيت ذا المرطول سنت 463 بعد مفسد خيبر / خبر بعام"

- **نَقْش أمّ الْجِمال الثاني** (أُنْظُرْ اللَّوحة المُرافِقة)
هونقْش يعود إلى أوائل القرن السادِس المِيلادي وهومَكتوب على الجزء الأسفل من سارية كَنيسة تُوجد في "حُورَان" جَنوب سُوريا. وهونص صعب القِراءة وقد جاء فيه: " الله غفرا لاليه بن عبيده كاتب العبيد أعلى بنى عمرى تنبّه عنه من (يقرؤه)."

من خلال مُقارنة النُقوش الأربعة الَّتي عرضناها، وأُخرى لم نعرِضها، انتهى العُلماء إلى خُلاصات يُمكن إجمالها فيما يلي:
1- تشابُه الحُروف في هذه النُّقوش وتِكْرَارُها. مع كون بعضها يُشبه النبطية أكثر من العربية.

2- كل الحُروف العربية مَوجودة في هذه النُّقوش باستثناء الزاي والصاد.
3- نفس الحُروف المُتَّصلة والمُنفصِلة من جهة اليسار في النبطية والعربية.
4- الحُروف التالية: ب / ج / ح / ل / ن / ط، هي نفسها في الكِتابة النبطية.
5- الحُروف التالية: د / هـ / س / ش / ر / ت، هي أكثر تطوُّرا في الكِتابة العربية.
6- غِياب نُقط الإعجام تماما كما هوالحال في النبطية.
7- الألف الطَّويلة في بعض الأسماء والكلمات لا تُكْتَبُ في اللغتيْن، هكذا نجد: حرث / ابرهيم / بعم، بدلا من: حارث / ابراهيم / بعام.

## خُلاصة عامة

يُمكننا القوْل إنّ الكِتابة العربية، حسب النصوص والدِّراسات المُتوفَّرة، لا تنحدِر من الخط الجنوبي بل من الخط الشمالي. وليس من السريانية بل من النبطية الَّتي هي فَرْع مُتطوِّر من الآرامية.

## ثانيا: الكِتَابَة في المَرحلة الإسلامية 610 / 661.

في المَرحلة الإسلامِية سوف تعرف الكِتابة العربية تَطوُّرا مَلحوظا من حيْث الكم والكيْف. في عرضنا هذا سوف نتوقَّف عند كل فترة مع ذكْر تطوُّراتها وكذا العَوامِل الَّتي أدَّت إليْها.

### أ- قُبَيْل الإسلام.

كانت الكِتابة تُعْتَبَرُ تَرَفًا في مُجتمَع تغلُب عليه البَداوة والتِّرحال. لكن المَناطِق الَّتي كانت تَمُرُّ منها التِّجارة كانت

تعرف الكِتابة. فإذا أخذنا مَكَّة كمَركز تِجاري نجد أنّه كانت لها أحلاف واتِّفاقيات مَكتوبة مع القَبائل والمُدن الَّتي كانت تَمُرُّ منها القَوافِل. إضافة إلى ذلك فإنَّ العمليات التِّجارية من بيْع وشِراء ورَهْن وقَرْض تتطلَّب التَّدوين الكِتابي والمُحافَظة على السِّجِلاَّت. وهناك دَلائِل كَثيرة على تعاطي الكِتابة في هذه الفترة:

1- حِلْف الفُضُول وحِلْف أكَلَة الدَّم كانا مَكتوبيْن.

2- المُعلَّقات السَّبع أوالعَشْر، وهي قَصائد طَويلة، كانت مَكتوبة ومُعلَّقة على سِتار الكعبة.

3- في مَكَّة كان العَبيد، وما أكثرهم يحمِلون معهم ورقة المِلكية أوالحُرية.

4- وُجود مَجموعة من المَسيحيين واليهود العرب كانوا يكتُبون بلُغات مُتعدِّدة منها العربية.

5- في مَكَّة قُبَيْل الإسلام كان هناك فقط سبعة عشر رجلا يعرِفون الكِتابة والقِراءة. عشرة منهم أصبحوا من أوائل المُسلمين وهاجَروا فيما بعد إلى يَثْرِب (المَدِينة). وأيضا سبع نساء حسب البَلاَذِري في "فُتُوح البُلْدان" ق 3 ص 580

## ب - ظُهور الإسْلام: الفَتْرَة النَّبَوية ( 610 / 632 ).

يعتبر ظُهور الإسلام شيء بالِغ الأهمية في كَثرة وتطوُّر المَكتوب بالعربية. فمن سنة 610 بِداية نُزول الوحي / القرآن إلى سنة 622 تاريخ الهجرة إلى يثرب (المَدينة) نزَلت حوالي ست وثمانين سُورةً من القرآن من أصل مِئة وأربعة عشر سُورةً. أي 4613 آية[3]. هذا يَعني أنَّ أكثر من نصف القرآن نزل بمَكَّة. وبما أنَّ نبي الإسلام لم يكُن يقرَأ ويكتُب، فإنَّه كان يستعين بـ "كُتَّاب الوَحْي" الَّذين تعدَّدوا منذ الأيام الأولى لبِداية نُزول الوحي. وهذه الكِتابة كانت تُثير فُضول المُسلمين وغيْرهم

[3] هذا إذا اعتبرنا أن السور المكية نزلت كل آياتها بمكة.

لأنها لأوَّل مرة يحصُل فيها العربي على "كِتاب" من أصْل سماوي.
في الفَترة المدنية للإسلام سيستمرُّ نُزول القرآن متفرِّقا وسيَزداد عدد "كُتَّابُ الْوَحْي" من أنصار ومُهاجِرين. وسيبلُغ عدد السُّوَر المدنية 28 سُورةً وهي من أطول السُّوَر. أي 1623 آية ليصل مُجمَل آيات القرآن إلى 6236. ومن خلال الأخبار التاريخية الّتي وصلتنا نعرف أنَّ عددا كَبيرا من الصَّحابة، أوَّلُهم "عبد الله بن مَسْعُود"، كانوا حَريصين على جمع القرآن بشكِل شَخصي وأنَّ نبي الإسلام قبل وفاته راجَع مع بعضهم النسخ المَكتوبة الّتي كانوا يملِكونها. يبقى أنْ نعرف أنَّ القرآن حتى وفاة رسول الإسلام لم يكن مَجموعا على شكل كِتاب بيْن دفتيْن، ولكنه كان مجزأ ومَكتوبا على جُلُود الحيوانات والخشب والعِظام وغيْرها من المَواد البِدائية.
وتبقى الفَترة النبوية بحق فترة توفرتْ فيها عِدَّة عَوامِل ساعدتْ على كَثرة المَكتوب نذكُر منها 1=القرآن، 2= الحَديث، و3= تصرُّفات رسول الإسلام.

**القرآن**: صَحيح أنَّ الوحي كان شَفويا ولم يكن كِتابيا. وقد كان كذلك من جِهة احتراما للطَّبيعة الخاصة للرسول الّذي لم يكن يعرف القِراءة والكِتابة ومن أُخرى احتراما للثَّقافة العربية الشفوية. لكن تَدوينه كِتابةً وبسُرعة كان يتم أوَّلا بأوَّل. وفي القرآن نفسه نجد آيات ترفَع من قِيمة الكِتابة والمَكتوب. وأشهر آية تتحدَّث عن تَقييد المُعاملات التجارية كِتابة، هي أطول آية في القرآن وهي الآية 282 من سورة البقرة[4]. تقول الآية: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ. وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ. وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ. وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ، وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْءً. فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوضَعِيفًا أَولاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوفَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ

[4] هي كذلك عند حَفْص بَيْنما في رِواية وَرْش هي الآية 280

مِنْ رِجَالِكُمْ. فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى. وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا. وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوكَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ. ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ الله وأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا. إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُم فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا. وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ. وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ. وإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ. وَاتَّقُوا اللهَ. ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ. وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ."

فهْم هذه الآية في سِياقها اللُّغوي( كَثرة استعمال فِعل الأمر بمُختلف أشكاله) وسِياقها المُجتمعي ( مجتمَع تِجاري) الحَقيقيَيْن يُظهر مدى أهميتها في انتشار الكِتابة.

- **الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ**: إلى جانِب القرآن، ساهَم الحَديث النبوي ( أقْوَالُ رَسُول الإِسْلام) بقدْر كَبير في كثرة الكِتابة وتطوُّرها. فالحديث هوإمّا أمر بشيء أونهي عنه، أووَصِيّة، أوشرْح وتَفصيل للقرآن. وهوبهذا المَعنى جزء من الدِّين اهتمَّ به المُسلمون كَثِيرا ولكن بشكل أقلَّ من اهتمامهم بالقرآن في هذه الفترة. ونجد أحاديث كَثيرةً تَحُثُّ على الكِتابة.

في البداية نَهَى رسول الإسلام عن كِتابة الحَدِيث مع القرآن بدَليل الحدِيث الَّذي يقُول فيه " مَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْءً غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ". إلاَّ أنّه أثناء استماعه لشَكوى أحد أصحابه كان كَثيرا ما ينسى ما يسمَعه منه، يقول له " استعن بِيُمْنَاكَ عَلَى ذَاكِرَتِكَ" أيْ أُكتُبْ حتَّى لاَ تَنْسَى. هذا الحَديث يُعْتَبَرُ نَسْخًا لحَديث النهي السابِق وإذْنا صَريحا بجَواز تَدوين الحَديث كِتابة. هذا ما يفسِّر وجود "صُحُف" كتبها الصَّحابة، من أمثال "عبد الله بن عَمْروبن العاص" و"عبد الله بن عُمَر" و"عَلِي بن أبي طالِب"...، في بعضها أكثر من ألف حَديث.

وهناك حَديث يقُول فيه رسول الإسلام " قَيِّدُوالعِلْمَ بالكِتَابِ " بمَعنى اكتُبوا العِلم واجْعَلُوه في الكُتُب. وفي حَديث آخَر يُوصي ويأمُر كُلَّ المُسلمين بكِتابة "الوَصِيَّة"

- **تَصَرُّفَاتُ رَسُولِ الإِسْلاَمِ**: إضافة إلى القُرآن والحَديث تُعْتَبَرُ تصرُّفات النبي نَموذجا للمُسلم. ونجد في الكَثير من هذه التصرُّفات دَعْوَةٌ غير مُباشِرة للكِتابة وتعلُّمها وتدوين العُهود والمَواثيق. ومن التصرُّفات الَّتي نعرفها:
- **صَحيفة المَدينة**: كتبها النبي بِمُجَرَّدِ وُصوله إلى "المَدينة" لتَنظيم العلاقة بيْن المُسلمين واليهود والعرب غير المُسلمين.
- **فِدَاءُ أَسْرَى بَدْر**: خلال مَعركة "بَدْر" وَقَعَ الكَثير من القُرَشِيِّين في الأسْر. ومن أجل تَحريرهم، أمر النبي كُلَّ أسِير بتَعليم عَشَرَةٍ من المُسلمين الكِتابة والقِراءة. وقد كانت الأسبقية للأطْفال وللنساء.
- **كِتابة عُهود الصُّلح**: كان النبي حَريصا على تَدوين كلِّ العقود الَّتي يوقِّعها مع القَبائل. ويبقى أشهر صُلْحٍ هوصُلْح الحُدَيْبية وكان مَكتوبا.
- **المُراسَلات**: احتفظت لنا كُتُب التاريخ بمَجموعة من الرسائل أرسلها النبي إلى بعض زُعَماء القَبائل وبعض رُؤَساء الدول (مصر/ الحبشة) وإلى إمْبراطوريتي بِيزَنْطَة وَفَارِسَ[5].( أُنْظُرْ اللَّوْحة المُرافِقة)
- **سِجِلاَّت الزَّكاة**: كانت عِبارة عن أوراق أوألْواح تُسَجَّلُ فيها مُستحقَّات قَابِضي الزَّكاة.

نخلُص إلى القوْل إنّ ما كُتِبَ في العهد النبوي ربَّما يفُوق بكَثير ما كتَبه العرب من قبْلُ. ولا شكّ أنَّ كَثرة الكِتابة تؤدِّي إلى تطور الكِتابة وهي نُقطة سنعُود إليْها بعد التطرُّق إلى العصر الراشدي.

## ت - ظُهور الإسْلام: العَصْر الرَّاشِدي ( 632 / 661 م ).

العَصر الراشدي هي فَترة تمتدُّ من وَفاة رسول الإسلام إلى مَقتَل الخَليفة الرابع علي بن أبي طالِب. وعلى الرغم من قِصَرِ هذه الفترة، ثلاثين سنة فقط، فإنَّها تُعْتَبَرُ استمرارا للفترة السابِقة

[5] Byzance et l'empire Sassanide.

فيما يخُصُّ كثرة الكِتابة وانتشار المَكتوب. ونظرا لأهمية هذه الفَترة فإنّنا سندرُس فَترة كلِّ خَليفة على حِدة.

- عَهْد أبي بكر ( 632 / 634 م)

لعل أهم ما ميَّز عهد أبي بكر هومُحاوَلته، بإلحاح من عمر بن الخطَّاب، جمْع القرآن وجعْله في كِتاب واحد، بدل تركِه مُتفرِّقا في الألواح والصَّحائف والجُلود وقُشُور الشَّجر. عملية جمْع القرآن هذه قد تمَّت بالفِعل لكنّها لم تكتمل ولم تُنتج قرآنا على شكْل كِتاب. كلَّ العمل الَّذي قامت به تلك اللَّجنة تم تَسليمه إلى "حَفْصَة" زَوْجة النبي. وسبب هذا التوقُّف تُرجعه كل المَصادِر إلى تراجُع أبي بكر عن الفكرة. لكن الفِكرة في حدّ ذاتِها يُمكن اعتبارها تطوُّرا كَبيرا في الثَّقافَة العربية وتطوُّر الكِتابة.

- عَهْدُ عُمَر بن الْخَطَّاب ( 634 / 644 م )

إنّ توسُّع الرقعة الجغرافية للدوْلة الإسلامية في عهد عُمَر، واحتكاك المُسلمين بدوَل جد مُنظَّمة، إضافة إلى شَخصيته المُبدِعة، فرضا عليه تحديا كَبيرا: هوتَنظيم الدَوْلة الإسلامية. وهكذا أسَّس عمر الإدارات والدَّواوين مثل دِيوان الجُند، ودِيوان القضاء، ودِيوان العطاء، دِيوان البريد... وفرَض السِّجلاَّت على كلِّ إدارة خلقها. إنَّ تَنظيم دوْلة تُسيطر على كل الجَزيرة العربية والعراق وسُوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر وإيران... وتُسيطر على أغلب الطرق التِّجارية، وهي بلا شك أغنى دولة في العالم في تلك الفَترة، هوشيء سيُعطي كَثرة الكِتابة.

- عَهْدُ عُثمان بن عَفَّان (644 / 656 م):

- مِنَ القُرآن إلى المُصْحَف.

لعل أهمَّ ما يميِّز عهد عُثمان هوأنه عرف أكبر عَملية تَدوين عرفها العرب حتى ذلك التاريخ. ليْس من حيْث الكم ولكن من حيْث النَّتائج الَّتي ستُسفر عنها هذه العملية.
ففي عهده توسَّعت أرض الإسلام لتشمَل ليبيا وأفغانستان وأجزاء من باكِستان... ومنذ بِداية عهده ستتأكَّد الحَقيقة الَّتي كانت قد بدأت في الظُّهور منذ عهد عُمر بن الخطّاب. هذه الحَقيقة هي أنّ عدد المُسلمين العرب أصبح أقلَّ بكَثير من عدد المُسلمين غيْر العرب. وهوما طَرَحَ مُشْكِلةً كَبيرة وهي: من أيْن سيأخُذ هؤلاء دينهم؟
حَقيقة أُخرى ظهرت بعُمْقٍ وهي كانت قد بدأت في أوَّل عهد أبي بكر وهي كَثرة المُتوقِّين من الصَّحابة الَّذين كانوا يُعْرَفُونَ بِـ " الْحُفَّاظِ " أيْ الَّذين كانوا يحفَظون القرآن. والأحْياء منهم تفرَّقُوا في البُلدان.
وبما أنّه، منذ عهد عُمَر بن الْخَطَّاب، كانت تُنَظَّمُ مُسابَقات في حِفْظِ القرآن للأطفال، فقد بدأت تظهَر قِراءات مُخْتَلِفَة للقرآن.
كل هذه الأسباب شجَّعت الخَليفة عُثمان على إكمال العمل الَّذي كان أبوبكر قد بدأه. وقد عيَّن لجنة من " كُتَّاب الْوَحْي" برآسة الصَّحابي" زَيْد بن ثَابِت "
هذه اللَّجنة أكملت العمل السابِق وأنتجت لنا "الْمُصْحَف" بالتَّرتيب الَّذي نعرِفه اليوم. أيْ القُرآن الَّذي أُنْزِلَ على رسول الإسلام ولكن على شكل كِتاب بيْن دَفَّتَيْن. هذا "الْمُصْحَف" كُتِبَتْ منه نُسَخَ كَثيرة وأُرْسِلتْ إلى أهم المُدن في تلك الفترة. وتُعرف هذه النسخ في كُتب التاريخ تحت إسم " الْمُصْحَفُ الإمام". وإن كنا لا نعرف كم هوعدد المَصاحِف الَّتي استُنْسِخَتْ انطلاقا من هذه النسخ الأصلية، إلا أنَّه يُمكن القول إنَّ عددها، مع توالي الأيام، كان كَبيرا جدا.

## - عَهْد عَلِي بْن أبِي طَالِب (656 / 661 م)

لم يكن عهد عَلِي فترة استقرار سِياسي ولم يشهَد تَوسيعا يُذْكَر للدولة الإسلامية، إلا أنَّ المَصادِر العربية تَكاد تُجمع على أنَّه

العهد الّذي بدأ فيه وضْع الخطوات الأولى للنحوالعربي، كما سنرى ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث. وقد شهد هذا العهد كذلك ضَرْبَ عُملة إسلامية ( درهم فضي) عليها بعض الكِتابات.

## ج - نُصُوصٌ وخُلاصَاتٌ

أثناء عملية البحْث في هذا المَوضوع استطعنا جمْع نُصوص كَثيرة تَعود إلى هذه الفترة. النصوص الّتي أمكن استغلالها، بفضْل وُضوحها، سنعرضها في هذه الفَقرة قبل التكلُّم عن مجموعة من الخُلاصات المُستنتَجة منها. هذه النُّصوص هي:( أُنْظُر اللَّوَحات المُرافِقة)

أوَّلاً: رِسالة مَنسوبة إلى رَسول الإسلام

ثانِيا: شاهِدة قبْر عبد الرحمان بن خَيْر الحِجْري تعود إلى سنة 31 هـ / 652 م

ثالِثا: مُصْحَف مَنسوب للإمام علي بن أبي طالِب: س15 (الحِجْر) آ 18-27.

رابِعا: مُصْحَف مَنسوب للإمام علي بن أبي طالِب: س 7 (الأعراف) آ 1-8.

خامِسا: مُصْحَف مَنسوب للإمام الحُسيْن بن علي: س 18 (الكهف) آ 81-82

سادِسا: مُصْحَف مَنسوب للإمام الحَسَن بن علي: س 36 (يس) آ 37- 38.

سابِعا: حُروف عربية مَأخوذة من شاهِدة قبْر عبد الرحمان بن خَيْرَ الحِجْري.

من خلال استقراء هذه النُّصوص ومُقارَنتها يُمكننا الخُروج بالاستنتاجات التالية:

أوَّلا: ليْس هناك فرْق كَبير بين الكِتابة في الجاهلية والإسلام وكِلاهما يُشبه الكِتابة النبطية من وُجوه كَثيرة.

ثانِيا: كَثرة الكِتابة أدخلتْ بعض التطوُّر والوُضوح على الكِتابة وبعض الحُروف أصبحتْ مُستقيمة.
ثالِثا: ظُهور الإعْجام ( نَقْط الحروف) ولكن بشكل غيْر مُنظَّم وغيْر مَنهجي.
رابِعا: كَثرة الاستنساخ من "المُصحف الإمام" ساعَد كَثيرا على تطوُّر الكتابة وخُصوصا في العصر اللاحِق أي العصر الأمَوِي.

## ثالِثا: الكِتابة في العَصْر الأمَوي (40-132 هـ /661-750م)

يُمكن القول، بكَثير من الأمانة العِلمية، إنَّ العصر الأمَويَّ هوعصر كَثرة المُسلمين غير العرب. عصر تَنظيم الدوْلة.عصر كانت فيه الدولة عَربية أكثر منها إسلامية، عصر ضَرْب الدِينار والدرهم الإسلاميين. عصر بداية تَدوين الحَديث النَّبوي بشكل جَماعي ومُنظّم، على يد مُحمَّد بن شِهاب الزَّهْري سنة 80 ه /700 م....
ليس غَريبا على عصر عرف كُلَّ هذه الأشياء وغيْرها أنْ يخطُوخَطوات كَبيرةً في تَطوُّر الكِتابة العربية. وفيما يخُصّ مَوضوع بحْثنا عرَف هذا العصر ظُهور "النَّقْط / الشَّكْل" وبداية الخَطوات الأولى في النحوالعربي مع "أبِي الأسْوَد الدُّؤَلي" وتَلاَمِيذه.

### أ- ظُهور الشَّكْل / النَّقْط في الكِتابة.

كانت اللُّغة العربية، حتى العصر الأموي، تُكْتَبُ بدون الحَرَكات ( المُصَوِّتات) القَصيرة بل فقط بالحُروف. وحتى هذه الحُروف لم تكن مَنقوطة. ومع ذلك لم يكن هذا الأمر يطرَح أدنى مُشكِلة للعرب الأقحاح الَّذين تربَّوْا في بِيئة عربية خالِصة. ولكن أبناءهم الَّذين وُلِدُوا في المُدن وعاشُوا مع غيْر العرب - وكذا المُسلمين من غيْر العرب - كانوا يجدون صُعوبات كَثيرةً في القراءة والكِتابة، وخُصوصا قِراءة وفهم النُّصوص الدينية المُؤسِّسة، من قُرآن وسنة. فـ "المُصْحَفُ الإمَامُ"، الَّذي كُتِبَ بدون

نُقَطٍ ولاَ حَرَكَات، كان يطرَح مَشاكِل، أكثر مما يُعطي من حُلول. ففي العصر الأموي أصبح الوعي كَبيرا، خاصة عند العلماء ورِجال الدولة، بِضَرورة إدخال بعض التَّعديلات على الكِتابة. وذلك لتَسهيل القراءة والفهْم على الناس وخاصة المُسلمين من غيْر العرب، وهم الأغلبية الساحِقة. لقد كان ذلك هوالدافِع الحَقيقي لظُهور الشَّكْل / النَّقْط.

## - ما مَعْنَى الشَّكْل / النَّقْط؟

إذا أخذنا القاموس وبحثنا عن مَعنى كلمة "شكل" فإنَّنا سنجد:
- شكَل الحَيَوان: أيْ قيَّده ورَبَطه من رِجليْه. = شكَل: قَيَّد ورَبَطَ لكي يمنَع من الهَرَب. = شِكال: الحبل الَّذي نربِط به الحَيَوان. = أشْكَل الأمْر: أصْبَحَ غامِضًا. = شَكْل: هيْأة خارِجية.
إذا تركَنا القاموس وبحثْنا عن مَعنى الشكل في اللُّغة ( الاصطلاح) فإنَّ كلمة " شكْل" تَعني إزالة الغُموض واللُّبس عن الكَلمة وتَفادي الخطأ (التَّصحيف) في القِراءة. إذاً الشّكل هوتَقييد للمعنى لكي لا يهرُب أويختلط بمَعنى آخَر. والشَّكل بهذا المَعنى، أي حَركات ونُقط عَلى أوتحت الحُروف، مَوجود في الكِتابة السريانية والعبرية ولكنه غيْر مَوجود في الكِتابة النَّبَطية الَّتي هي أصل العربية.

## - متى بدَأ الشَّكل / النَّقْط؟

لا نعرِف بالضبط متى بدَأ الشكل في الكِتابة العربية، ولكن لدينا نُصوصًا كَثيرةً تُرجعه إلى عصر الصَّحابة والتَّابِعين. فهذا "أبوعَمروالداني"، وهوأحد أكبر المُتخصِّصين في القُرآن إنْ لم يكُن أكبرهم على الإطلاق وفي كل العُصور، يقُول في كِتابه " المُحْكَمْ في نَقْطِ القُرآن" ص 2 نَقْلا عن "الإمام الأوْزَاعِي" " سمِعتُ قَتَادة يقُول عن الصَّحابة: " بَدَؤُوا فَنَقَطُوا، ثُمَّ خَمَّسُوا، ثُمَّ عَشَّروا". ومَعلوم أنَّ قَتَادة هو" تابِعي" أيْ عاشَر مَجموعة

من الصَّحابة. ومعنى النص أنَّ الصَّحابة كانوا يضعُون النقط كَحَركات على الحُروف في المَصاحِف الَّتي كانوا يستعملونها. وهذا "القَلقشندي" في " صُبْح الأعشى..." ج 3 ص 155 يقُول: " كان الصَّحابة قد جَرَّدوا المَصَاحِفَ من الشَّكْل". وفي نفس المَعنى أورد الأستاذ صُبْحِي الصَالِح قَوْلَةً لعَبْد الله بن مَسْعُود، وهومن أوائل المُسلمين وكِبار الصَّحابة، يقُول فيها " جَرِّدُوا القُرآن ولا تَخْلِطُوه بِشَيْءٍ ". وفي نفْس السَّياق يُزوِّدنا ابْنُ أبِي دَاوُود[6] السِّجِسْتَانِي في كِتابه " المَصَاحِفُ" ج 4 ص 141 بِنص عن الحَسَن بن علي ( حَفيد رَّسول الإسلام) فيَقول إنَّه "كان يَكْرَهُ تَنقِيطَ المَصَاحِفِ بالنَّحْوِ". كل ما سبَق يُعْتَبَرُ دَليلا بالمُخالفة إذْ كَيْف يُمكن أن يكرَهوا النَّقط وكيْف لهم أنْ يُزيلُوه إذَا لم يكُن مَوجودا.

ويؤكِّد أبُوعَمْروالدَّانِي، دائما في " المُحْكَم..."، أنَّ ذلك كان عادة عندهم منذ القَديم وأنَّهم كانوا يستعملون الألوان المُختلفة، فيقُول في ص 19:" إنَّ أهْلَ المَدِينَةِ فِي قَدِيم الدَّهْر وحَدِيثِهِ، قَدْ اِسْتَعْمَلُوا في نَقْطِ مَصَاحِفِهِمْ الْحُمْرَةَ والصُّفْرَةَ. فَأمَّا الْحُمْرَةُ فَلِلْحَرَكَاتِ والسُّكُون والتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ. وأمَّا الصُّفْرَةُ فَلِلْهَمْزَاتِ خَاصَّةً"

بعْد كلِّ هذه النُّصوص، وإنْ أصبحنا متأكِّدين أنَّ الشَّكْل، أيْ وضْع نِقَاط، كَحَركات قَصيرة، فوق أوتحت الحُروف بألوان مُخْتلِفة، كان مَوجودا في عهد الصَّحابة خُصوصا في المَصاحِف. فإنَّنا لا نعرف بالضبط هل كان هذا مَوجودا قبْل" المُصْحَفِ الإمَام" ولا من أين أخَذ العرب الشَّكل.

## - الشَّكل / النَّقط: من أين جاء؟

كنا قد ختمنا فَقرة سابِقة بقولنا إنَّ النبطية لا شَكْل فيها. فهل يُمكن أنْ يكُون العرب قد أخَذوه من العِبْرية والسُّرْيانية؟

---

[6] هكذا على غِلاف الكِتاب بدل "داود" بواوواحدة وهوالأصَحُّ.

تُفيد الدِّراسات المُتخصِّصة أنَّ اللغة العِبْرية استعملت الشَّكْل بِوضْع النُّقط على الحُروف لتَوضيح الحركات القَصيرة وتسهيل القِراءة، وذلك منذ القرن الخامِس المِيلادي. وبما أنَّ اليَهود كانوا يسكُنون في مُختلَف أنحاء الجَزيرة العربية منذ قُرون طَويلة، فلا شيء يمنَع من مُحاكاة الكِتابة العبرية خُصوصا وأنَّ مُسلمين كَثيرين كانوا يعرفُون هذه اللُّغة فهْما وكلاما وكِتابة منذ عهد النبي الَّذي كان قد أمر " أبُوخَارِجَة" بتعلُّمها.
نفس الاحتمال يَبقى واردا فيما يخُصُّ السريانية. وإنْ كان الميْل عُموما هو أكثر إلى هذه الفَرَضية. لكون العرب المَسيحيين في شمال الجَزيرة، وما أكثرهم في تلك الفَترة، كانوا يعرِفون اللغة والكِتابة السريانية. بل النبي نفسه كان قد أمَر " زَيْد بْن ثَابِث" بتعلُّم السُّرْيانية.
لكن الأكيد هوأنَّ الشَّكل بهذه الطَّريقة لم يكُن مُنظَّما ولا إجباريا بل بقِي مَسألة شَخصية فردية دون أنْ يتحوَّل إلى ظاهِرة عامة. والدَّليل على هذا هوأنَّ نفس المُصْحَف، كتَبه نفس الشَّخص، نجده غيْر كامِل الشَّكل. ويبقى السُّؤال هل يُمكن أنْ نَشكُل لُغة، بشكل مَنهجي ومنظَّم، وهي لا تتوفَّر على نحووقواعد؟ هذا السُّؤال سيُحاول " أبُوالأسْوَد الدُّؤَلي أنْ يُجيب عنه.

## ب- أبُوالأسْوَد الدُّؤَلِي ( تُوفِيَ 69 هـ/ 689 م) وتَعميم الشَّكْل.

لم يكن " أبُوالأسْوَد الدُّؤَلي" عالِما يَعيش خارج المُجتمَع، بل سُكناه في جَنوب العِراق حيْث عدد كَبير من المُسلمين غيْر العرب، مكَّنته من التعرُّف عن قُرب على المَشاكل اللغوية الَّتي كانت تُواجِه هؤلاء الراغِبين في مَعرفة أُمور دِينهم. هذا الواقِع جعله مُستعِدًّا لكي يفعَل شيء يسهِّل به على الناس، إلى أنْ وقعتْ له حِكايتان: الأُولى مع ابنته والثانية مع مُسلم غيْر عربي.
- مع ابنِته.

تَحكي المَصادِر التاريخية أنَّ " أبا الأسود" كان في بيْته، فدخلتْ بنته وقالتْ: " مَا أجْمَلُ السَّمَاءِ" برفْع كَلِمة "أجملُ" فاعتقد "أبوالأسود" أنَّها تسأله. فَأجاب قائلا:" نُجُومُهَا" أيْ أنَّ النُّجوم هي أجمل شيء في السَّماء. ولكنّ بنته ردّتْ عليه قائلة: " أنا أتعجَّبُ ولاَ أسأل". فقال لها: " قولي "ما أجملَ السَّماءَ" وافتَحي فمكِ."

لقد وصلتنا هذه القِصّة بجُمل وتَعابير مُختلِفة لكن النَّتيجة تَبقى واحِدة دائما. وهي أنَّ أبناء العرب الَّذين وُلِدُوا خارج الجَزيرة العربية واختلطوا بغيْر العرب، بدؤُوا يفقِدون اللُّغة العربية، وأصبحوا غيْرَ قادِرين على التَّعبير السَّليم، وذلك يؤدِّي إلى اختلاط المعاني. **إنَّ الهوية العربية أصبحت في خطر حتى من أبنائها. وإذا ضاعتْ اللُّغة الَّتي هي أساس الهوية العربية فإن الدِّين بدوره سيَضيع. هذا هوناقوس الخطر كما فهمه " أبوالأسود الدُّؤَلي".**

**- مع مُسْلم غيْر عربي.**

تَحكي المَصادِر التاريخية أنّ "أبا الأسود الدُّؤلي" سمِع مُسلِما غيْر عربي يقرَأ الآية 3 س 9 (التوبة) بطَريقة خاطِئة قلبتْ المَعنى تماما وجعلتْه مُستحِيلا. فلآية تقُول " ...أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ" والمعنى هوأنَّ الله والرّسول يتبرَّآن من المُشركين. ولكن الرجل قرأ: " ...أنّ الله بريء من المشركين ورسولِه" أيْ أنَّه وضع الكَسْرة تحت حرف اللام في كلمة "رسولِه" بدلا من الضمة. وبذلك أصبح المعنى أنّ الله يتبرَّأ من المُشركِين ومن الرَّسول أيضا وهوشيء مُستحيل قُبوله.

فسواء كانت هذه القصة صَحيحة أم لا، وكيْفما وقعتْ، فإنّ النَّتيجة هي واحِدة دائما. **هناك مُسلمون غير عرب يبذُلون جهدا في تعلُّم اللُّغة العربية ولكنهم لا زالوا عاجِزين عن قِراءة وفهْم القُرآن بشكْل سَليم.**

تُضيف المَصادِر أنّ "أبا الأسود"، بعد أنْ سمِع تلك القِراءة الخاطِئة، ذهب إلى الحاكِم وقبل ما كان قد رفضَه من قبل. أيْ قبل أنْ يقُوم بشَكْل القرآن شكْلا تامّا. وسواء كان ذلك الحاكِم هو"زِياد بن أبيهِ" أوالحَجَّاج بن يُوسف " أوالخَليفة "عَبْد المَلِك

بن مَرْوان " نفسه، فإنَّ هذا اللّقاء وهذا التوافُق هوتماما ما يحتاجُه **مَشروع "عِلْمِي"** يتعلَّق بمَصير لُغة ودين. **فالعالِم "أبوالأسود" يمثِّل السُّلطة الثَّقافية والْعِلمية الَّتي ستُنجز المَشروع. والحاكِم هوالسُّلطة الحاضِنة للمَشروع والقادِرة على نشْره في كلِّ أنحاء الإمبراطورية الإسلامية.** ولكن إذا بقِينا عند هذا المُستوى لا يُمكننا أنْ نفهَم تردُّد "أبي الأسود" في القِيام بشيء كل الناس يقومون به منذ عهد الصَّحابة ولكن بشكل غيْر مُنظَّم وغيْر مَنهجي.

أعتقد جازما أنَّ "أبا الأسود" لم يرفُض نَقط / شكْل القُرآن **ولكنه رفض تَوحيد النقط وخُصوصا فرْض طريقته على الجَميع من طرف السُّلطة الحاضِنة.**

زوّدتْ السُّلطة الحاضِنة "أبا الأسود" بثلاثين كَاتِبا خَطّاطا. وبعد أنْ جرَّبهم جَميعا، اختار "أبوالأسود" واحِدا فقط "لبَراعَته وفَصاحَته وجوْدة خطِّه".

ويروي لنا " أبوعَمْروالدَّاني" في "المُحكَم..." ص4/3 أنّ "أبا الأسود" قال للكاتِب :" إذا رَأيْتَنِي فَتَحْتُ شَفَتِي بالْحَرْفِ فانْقُطْ وَاحِدَةً فَوْقَهُ، وإذَا كَسَرْتُهَا فَانْقُطْ وَاحِدَةً أسْفَلَهُ، وَإذَا ضَمَمْتُهَا فَاجْعَلِ النُّقْطَة بيْن يَدَي الْحَرْفِ، فَإنْ تَبِعَتْ شَيْءً مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ غُنَّةٌ فانْقُطْ نُقْطَتَيْن." وكان يُراجِع كلَّ صَفحة إلى أنْ أكمل نَقْط المُصْحَف.

من خلال هذا النص يكُون "أبوالأسود" قد أوجد حلاً لكتابة الفَتحة والضمة والكسرة و" الغُنَّة " أيْ التَّنوين. وبقِي السُّكون والمد والشدة والوصلة بدون حل.

وقد احتفظتْ لنا المَصادِر بنسخ من المَصاحِف مَنْسُوبَة إلى الخَليفة " عُثمان بن عَفَّان" مَنقوطة على طَريقة "أبي الأسود" اِستطعنا الحُصول على لوحتين منهما:

1- اللَّوحة الأولى هي قِطعة من سورة 61 (الصَّف) الآية 14. حيث يظهَر الشَّكل واضِحا.

2- اللَّوحة الثانية هي قِطعة من سورة 62 ( الجُمُعة) الآية 1-4 ويظهَر الشَّكل فيها أيضا.

## ت - تَـلاَمِـيـذُ أبـي الأسـود: ظُـهُـورُ الـشَّـدَّة.

بـعـد "أبـي الأسـود" أخـذ تَـلاميـذه يـسِـيـرون عـلـى خَـطـواتـه ويُـحـاولـون مـا أمـكـن تَـعـمـيـم طَـريـقـتـه فـي الـنَّـقـط، حـتـى تُـصـبـح الـعـمـلـيـة مُـوحَّـدة بـيْـن أكـبـر عـدد مُـمـكـن مـن الـنـاس، ومـن الـمُـتـعـلّـمـيـن. إنـهـا عـمـلـيـة صـعـبـة جـدا، فـي دولـة تـمـتـدُّ مـن حُـدود الـهـنْـد شـرقـا إلـى الـمَـغـرب غـربـا، ومـن تُـرْكـيـا شَـمـالا إلـى الـسُـودان جـنـوبـا، مـع غِـيـاب قَـنـوات إعـلامـيـة وتَـعـلـيـمـيـة كـالـمَـدارس والـجـامِـعـات.
وتـذكُـر الـمَـصـادِر عـلـى الـخُـصـوص "يَـحْـيَـى بـن يَـعْـمُـر" وهـوتِـلـمـيـذ "أبـي الأسـود"، وكـان قـاضِـيًـا فـي مَـديـنـة " مَـرْو" الإيـرانـيـة حـيـث أشـرف عـلـى نَـقْـط الـمَـصـاحِـف عـلـى طَـريـقـة أسـتـاذه إلـى أنْ تُـوفِـيَ سـنـة 90 هـ / 709 م وهـولـم يـتـجـاوَز 45 سـنـةً مـن عُـمْـره.
ويـبْـرُز أيـضـًا " نَـصْـر بـن عَـاصِـم"، وهـوتِـلـمـيـذ لِـ "أبـي الأسـود" ولِـ "يَـحْـيَـى بـن يَـعْـمُـر"، الَّـذي يـسـمِّـيـه "الـجـاحِـظ" "نَـصْـر الْـحُـرُوف" وذلـك، فـيـمـا نـعـتـقـد، لـشِـدَّة اشـتـغـالـه بـهـا إلـى أنْ تُـوفِـيَ سـنـة 89 هـ / 708م.
ولـقـد حـاوَل تَـلاميـذ أبـي الأسـود أنْ يُـدخـلـوا تَـحـسـيـنـات عـلـى طَـريـقـتـه فـي الـنَّـقـط. فـنـجـدهـم قـد اسـتـعـمـلـوا الألـوان لـكـي يُـصـبـح الـنـقـط أكـثـر وُضـوحـا. ولـكـن كـل جِـهـة كـانـت تـخـتـار ألـوانـهـا. ففـي الـعِـراق مـثـلا كـانـوا يـسـتـعـمـلـون الـلَّـون الأحـمـر لإظـهـار نُـقـط الـشـكـل والـهـمـزة فـي الـوقـت الَّـذي كـان فـيـه أهـل "الـمَـديـنـة" يـضَـعـون نُـقـط الـشـكـل بـالـلَّـون الأحـمـر وخـصَّـصـوا الـلَّـون الأصـفـر لـلـهـمـزة. أمـا الأنـدلـسـيـون والـمـغـاربـة عُـمـومـا فـقـد أخـذوا طَـريـقـة أهـل "الـمَـديـنـة" وزادوا الـلَّـون الأخـضـر لإظـهـار ألـف الـوصـل. وهـذا الاخـتـلاف دَلـيـل كـافٍ عـلـى أنَّ طَـريـقـة أبـي الأسـود لـم تـتـعـمَّـم.
ولـكـن الـشَّـدَّة حَـظِـيَـتْ بـاهـتـمـام كَـبـيـر فـي هـذه الـفـتـرة. وقـد قُـدِّمَـتْ مَـجـمـوعـة مـن الـحُـلـول لـهـا. ففـي مَـرحـلـة أولـى اخـتـاروا قَـوْسًـا صَـغـيـرا مَـفـتـوحـا نـحـوالأعـلـى لـكـي يـسـتـعـمـلـوه كـشـدَّة. فـالـشَّـدّة بـالـفـتـحـة كـانـت قـوسـا فـوق الـحـرف مـع نُـقـطـة فـوقـه. والـشَّـدّة بـالـضـمـة كـانـت قـوسـا فـوق الـحـرف مـع نُـقـطـة عـلـى يـسـاره. والـشَّـدّة بـالـكـسـرة كـانـت قـوسـا تـحـتـه نُـقـطـة يـوضَـع تـحـت الـحـرف.

وفي مَرحلة ثانِية كان لابدّ من التَّخفيف بعض الشيء، فتمت إزالة النقطة عن الشَّدّة وأصبح القوس كافيا لوحده. وهكذا أصبحت الشَّدّة بالفتحة قوسا مَفتوحا نحوالأعلى يُوضَع فوق الحرف. والشَّدّة بالكَسرة قوسا مَفتوحا نحوالأسفل تحت الحرف. والشَّدّة بالضَّمة قوسا مَفتوحا نحوالأسفل يُكْتَبُ فوق الحرف.
والجدول التالي يلخِّص المَرحلتين:

## ج - بَعْضُ النُّصُوصِ الأُمَوِيَّة.(أُنْظُرْ اللَّوحات المُرافِقة)

ساعدتنا الظُروف في الحُصول على مَجموعة من الوثائق الَّتي تعُود للعصر الأموي. وبالرغم من أهميتها الكَبيرة في مَوضوعنا إلا أنَّها وللأسف لا تتعدَّى سنة 72هـ / 692م. ومن مَجموع هذه الوثائق، اِخترنا ما يلي:
1- شاهِدة قبر مُعاوية وهي تَعود إلى سنة 58 هـ / 678م وهي من ستة أسطر قَصيرة ولا تتعدَّى ثَلاثين كَلمة.
2- شاهِدة قبر ثابِت بن يَزيد الأسْعَدِي/ الأشْعَري وهي تَعود إلى سنة 64 هـ / 684م وهي عِبارة عن إثني عشر سطرا أطولها يتكوَّن من خمس كَلمات.
3- النقش الداخِلي لقُبَّة الصَّخْرة وهي تَعود إلى سنة 72 هـ / 692 م.
4- مَجموعة من الحُروف مأخوذة من عدد من البَرْدِيات تعود إلى فَترات مُختلفة من العصر الرَّاشِدي والأموي.
**ومن خِلال هذه الوثائق وغيْرها يُمكن أن نَقول:**
1- الكِتابة العربية أصبحت كِتابة سَرِيعَة وأكثر طَواعية.
2- كل الحُروف بدأت تأخُذ شكلها شبه النهائي الَّذي نعرفه اليوْم.
3- الألف كحرف مد طَويل لا يُكتب في وسط الكلمة.
4- بعض الكلمات جزء منها في آخِر السَّطر والجزء الآخر في السطر المُوالي.

5- ظُهورُ بعض نُقَط الإعجام على بعض الحُروف لتَمييزها من بعضها في شاهدة السد ونقش قُبة الصخرة وغيابها تماما في شاهدة قبر ثابت والبرديات.
بصِفة عامة، وإلى حدود هذا العصر، هناك وضوح أكبر في الكِتابة العربية، ومُحاولات جادّة لتَطويرها وتَسهيلها مع عدم اِنضباط الجَميع لمُحاوَلات التَّوحيد. هذه الجهود في النَّقط ستعرف شكلها النهائي في العصر العباسي الأوَّل على يد العالِم اللُّغوي الكَبير الخَلِيل بن أحمد الفراهدي.

## رَابِعا: الْعَصْر الْعَبَّاسي الأوَّل (132- 232 هـ / 750- 846 م)

اجتمعتْ ظُروف كَثيرة ومُتنوعة في هذا العصر، ساهمتْ كلها في أنْ تأخُذ الكتابة شكلها النِّهائي الَّذي نستعمله حتى الآن.
هذه الظُّروف نذكُر منها:
1- الإمبراطورية العباسية تُسيطر على كل الشرق الأدنى القديم: من المغرب غربا إلى حُدود الهِنْد شَرقا.
2- هذه الرقعة الجغرافية هي الَّتي عرَفتْ أعرق الحَضارات الإنسانية.
3- التُّجار المُسلمين يُسيطرون تقريبا على كل الطُّرق التَّجارية.
4- نقَل هؤلاء التُّجار تِقْنية صِناعة الورق من الصِّين ونشروها في العالَم الإسلامي. والورق يُساعد على تطوُّر وانتشار الكِتابة والمَكتوب.
5- وجود إرادة سياسية قوية لنشر العلم والاستفادة من الحضارات السَّابقة ابتداء من عهد الخَليفة "المأمون" العبَّاسي.
6- بفضل هذه الرِّعاية السياسية، ترجم العرب والمُسلمون، وفي أقلَّ من مِئة سنة، كلَّ العُلُوم الَّتي كانت مَعروفة في ذلك الوقت عند كل الأمم.
7- ابتداء من هذا العصر، بدَأ العرب والمُسلمون يُدَوِّنُونَ كلَّ شيء عن تاريخهم. وهذا العصر يُعْتَبَرُ بحق بِداية "عَصْر

التَّدْوين" أيْ بداية التحوُّل من الثَّقافة الشَّفَويَّةِ إلى الثَّقافة الكِتَابِيَّة.
8- اِنتشار عدد كَبير جدا من المَكتبات والورّاقين في كل أنحاء الإمبراطورية.
لكن هذه الجُهود وهذه الظُّروف تَبقى بدون أية قِيمة مادامتْ اللُّغة الَّتي سنُترجم إليْها لا يفهَمها أكبر عدد مُمكن من الناس، وكِتابتها لا تزال تطرَح مشاكِل كَثيرة لمُستعمليها. **إنَّ كل هذه الظُّروف المُساعِدة لا تُساوي شيء بدون لغة مَكتوبة بشكل مُوحَّد ومَفهومة من الجَميع. هذا هوالسَّبب الَّذي جعل العُلماء يهتمُّون، أوَّلا وقبل كُل شيء، باللُّغة لأنَّها عِماد كل ثقافة.**
هذا التحوُّل في الثَّقافة العربية من الشَّفَوي إلى الكِتابي كان مُستحيلا بدون حل مُشكلة "الإعجام" وإعطاء حل نِهائي لمُشكلة الشَّكل / النقط. في الفَقرتيْن التالِيتيْن سنتطرَّق إلى ذلك مع تَقديم فَقرة "الإعجام" على فَقرة " الشَّكْل" لأسباب "ديداكتيكية" مَحضة.

## أ- الإعْجَام.

إذا أخذنا القاموس وبحثنا عن مَعنى كلمة "إعْجَام" فإنَّنا سنجد:
= الإعجام: إزَالَةُ الغُمُوض. وَهُومَصْدَرٌ عَلى وَزْنِ " إفْعَال " = أعْجَمْتُ الْكِتَابَ: وَضَّحْتُهُ وأزَلْتُ غُمُوضَهُ. = المُعْجَمُ= هوالقَامُوسُ الَّذِي يَشْرَحُ مَعْنَى الكَلِمات. = الأعْجَمِي: غَيْرُ وَاضِحِ النُّطْقِ وَالْكِتَابَةِ. = والفِعْلُ هوأعْجَمَ وعَكْسُهُ إسْتَعْجَمَ أيْ أصْبَحَ مُسْتَغْلَقًا غَيْرَ مَفْهُومٍ. ونَقُولُ: إسْتَعْجَمَ الْكِتَابُ أي إسْتَغْلَقَ ولَمْ يُفْهَمْ.
**الإعجام** في القاموس هوالإيضاح والتَّفسير. وفي الاصطلاح يَعني **وضْع النُّقط فوْق أوتحت الحُروف ذات الرَّسم المُتشابه لتمييزها من بعضها**. بهذه الطَّريقة وحدها حافَظت الكِتابة العربية على نفس رسْم الحروف الأربعة عشر، وضاعَفتها بفضْل نُقَطِ الإعجام.

فعندما كَثُرتِ الْكِتابة وانتشر المَكتوب أصبحتْ الأخطاء في القِراءة شائِعة بكثرة. لا نقصد خطأ في إعراب الكلمة وتغيير حَركة آخِر حرف فيها، بل الخطأ في قراءة الكلمة نفسها أيْ ما يُعْرَفُ بـ "التَّصْحِيف". وقد احتفظت لنا كُتُبُ التاريخ ببعض النماذج من "التَّصحيف" ومنها ما أدّى إلى مآسي إنسانية. سنورد مِثاليْن فقط:

- المِثال الأوَّل: حادِثة وقعتْ في عهد الخَليفة "عُثْمَان بن عَفَّان" الَّذي عيَّن حاكِما على مِصر. وفي رِسالة تَعيينه جاءت الكلمة بدون نقط الإعجام في الجُملة التالية:" إذَا جَاءَكُمْ رَسُولي فاقْبَلُوهُ" ولكن الناس قرؤُوها: "فاقْتُلُوه". وهكذا تسبب غِياب نُقط الإعجام في قِراءة خاطئة وقتْل رجل بريء.

- المِثال الثاني: وقع في عهد الخَليفة الأُمَوي سُلَيْمان بْن عَبْد الْمَلِك (تُوفِيَ 99 هـ / 718 م). ففي ردِّه على رِسالة من حاكِم يستشيره في مَجموعة من تِسْعة مَساجين، جاءت الكلمة التالية :" " بدون نُقط الإعجام في الجُملة التالية: " أنْ احْص المُخَنَّثِين" فقرأها الكاتِب " أنْ اخْص المُخَنَّثِينَ " فأخْصاهُم[7] الحاكِم. وهكذا أيْضًا تسبَّب غِياب نُقط الإعجام في قِراءة خاطِئة

وفي مأساة إنسانية.

وإذا كان هذا الحال في رسائل لا تتجاوز عادة صَفحة واحدة، فإنَّ كِتابا مِثل "المُصْحَف" على الرَّسم العُثماني، أي بدون نُقط الإعجام ولا حركات سيُؤَدِّي بدون شك إلى أخطاء كَثِيرة جدا في القِراءة، خُصوصا عند أولئك الَّذين لا يحفظُونه. وباعتباره الكِتاب المُقَدَّسَ والأكثر قِراءة، فإنَّ مِثل هذه الأخطاء لا يُمكن قُبولها.

العصر العباسي الأوَّل سيعرف الظُّهُور المُنظَّم لنُقط الإعجام والاستمرار في استعمالها إلى اليوْم. وهكذا كانت **النَّتيجة الأُولى** أنَّ الخلط لم يعد مُمكنا بيْن الحُروف المُتشابهة في الرَّسم. وأصبح مُمكنا التَّمييز وبسُهولة، بين الحاء والخاء والجيم

---

[7] Castrer : أَخْصَى / يُخْصِي

...إلخ. و**النَّتيجة الثانِية** كانت، هي إعادة تَرتيب الحُروف العربية حيث أصبحتْ كما نعرِفها اليوم.
والسؤال الَّذي يطرَح نفسه على بحْثنا التاريخي هذا هو: هل كان الإعجام مَوجودا في العربية قبل العصر العبَّاسي؟ الجواب هو" نعم ". فبالرّغم من كَوْن النبطية لا إعجام فيها، فإنَّ العربية عرفتْ نُقط الإعجام رُبَّما بتَأثير من السُّريانية أوالعبرية.
ففي العصر الجاهِلي، ومن خلال الشَّعر نعرِف أنَّ الإعجام كان يُسَمَّى " الرَّقْشُ". وفي زمن النبي كان الإعجام مَعروفا تحت نفس الاسم " الرَّقش". ففي رِواية عن مُعَاوِيَة بن أبِي سُفْيَان" جاء فيها: " كَتَبْتُ بيْن يَدَيْ رَسُولِ الله فقال لي: "يا مُعَاوِية أُرْقُشْ كِتابكَ" فقلتُ "وما رَقْشُهُ يا رَسُولَ الله؟" فقال :" أعْطِ كُلَّ حَرْفٍ مَا يَنُوبُهُ من النُّقَطْ". وفي العهد الرَّاشِدي وصلتْنا بردِيات مُعجَمة بشكل جُزئي أيْ بعض الحُروف وليس في كُلِّها. وفي العصر الأموي يظهَر الإعجام بشكل واضِح في شاهِدة سد مُعاوية الَّتي تَعود إلى سنة 58 هـ / 678 م وكذلك في نقْش قُبة الصخرة. ولكنه في الوَثيقتين لا يخضَع لنِظام مَضْبوط. فهوفي بعض الحُروف في بعض الكَلمات وليس في كُلِّها.
وحتى في العصر العباسي كان الإعجام يُستعمل فقط في بعض الكلمات الَّتي تُؤَدِّي إلى الغُموض. وكان الناس الَّذين يُحسنون القِراءة والكِتابة يكْرهون الإعجام. وكان إرسال رِسالة بها نُقَط الإعجام، يُعْتَبَر شكًا في مَقدُرة القارئ على القِراءة السَّليمة. وبقِي أغلبية العُلماء يكرَهون إعجام المَصاحِف العُثمانية وعلى رأسهم الإمام "مَالِك بن أنَس". لكنَّ الناس العادِيين، وهم الأغلبية، كانوا يُحِبُّون الإعجام في الكِتابة ويبحَثون عن السُّهولة. وهكذا كان هناك نوْعان من المَصاحِف يستعملها حتى المُتخصِّصون في الدِّراسات القُرآنِية. مَصاحِف مُعْجَمَة ومَشكولة يستعملونها لتَعليم الناس. ومَصاحِف بلا إعجام ولا شكل يستعملونها فيما بيْنهم. واستمرّتْ هذه الوَضْعِيَّة حتى القرن الخامِس الهجري الحادي عشر المِيلادي.

وباستثناء ذلك فإنَّ الناس لم ينتظروا الضوء الأخضر من أحد حتى يسهِّلوا على أنفسهم الفهْم والقِراءة.
إنَّ استعمال الإعجام بكثرة في العصر العباسي كانت له نتائج حاسمة في الوُصول إلى الخُطوة النهائية في تاريخ تَبسيط الكِتابة العربية. فالإعجام هومن سيُطيح بالشَّكل / النَّقْط على طَريقة أبي الأسود. ومن سيَقُوم بذلك هوالعالِم الكَبير الخَليل بن أحْمَد الفَرَاهِدِي. وهوما سندرُسه في الفقرة التالية.

## ت - الشَّكْلُ : الْخَلِيلُ (توفى 175 هـ/ 792م) والْحَلُّ النِّهَائِي.

**إنّ كثرة اِستعمال الإعجام في الكِتابة أظهر بوُضوح شَديد مَحدودية الحُلول الَّتي طرَحها "أبوالأسود"**. فطريقته في الشكل عن طَريق وضع نقطة أونُقطتين فوق أوتحت أوعلى يسار الحرف أصبحتْ عائقا بدلا من أنْ تَكون حلا. وبشكل مُبسَّط فلنتصوَّرْ ما يلي:
- حرف الثاء أصبح يُكتَبُ، بعد الإعجام، بثلاث نقط فوقه. فإذا جاء بضمَّتين في آخِر الكلمة فهما نُقْطَتان أُخْريتان على طَريقة أبي الأسود: في هذه الحالة هذا الحرف ستكون فوْقه خمسُ نُقط. نفس الشيء بالنِسبة لحرف الشِّين. فكم من المِساحة يجب أنْ نترُك بين الأسطر؟ في زمن الورق فيه ثمنه مُرتفِع جدا.
- حرف التاء أصبح يُكتَبُ، بعد الإعجام، بنُقطتين فوقه. فإذا جاء بالفتحة أضَفنا له نُقطة أخرى على طَريقة أبي الأسود. وفي هذه الحالة لا يُمكن أنْ نُميِّزه عن الثاء.
- حرف الباء أصبح يُكتَبُ، بعد الإعجام، بنُقطة واحِدة تحته. فإذا جاء بكَسرة أضفنا له نُقطة أُخْرى على طَريقة أبي الأسود. وفي هذه الحالة لا يُمكن أنْ نُميِّزه عن الياء.
- حرف النون أصبح يُكتَبُ، بعد الإعجام، بنُقطة واحِدة فوقه. فإذا جاء بالفتحة أضَفنا له نُقطة أخرى على طَريقة أبي الأسود. وفي هذه الحالة لا يُمكن أنْ نُميِّزه عن التاء. وإذا جاء بفتحتين لا يُكمن أنْ نُميِّزه الثاء...

ولكي لا نُطيل فواضِح جدا من هذه الأمثلة أنَّ الجمع بيْن الإعجام والشكل على طَريقة أبي الأسود، يطرَح مَشاكل جَديدة أكثر مما يطرَح من حُلول. وأنَّ اللُّجوء إلى الألوان للتَّمييز بين نُقط الإعجام ونُقط الشكل سيجعَل ثَمن الكُتُب مُرتفِع جدا ولن يستطيع الناس أن يشتروها. **لقد أدَّى انتشار الإعجام إلى الإسراع بانحصار اِستعمال طَريقة أبي الأسود في الشكل وإلى موتها وإنْ بقِيتْ مُستعمَلة في المَصاحِف إلى القرن الخامِس الهجري الحادي عشر المِيلادي.**

آخِر مُحاولة لإختراع طَريقة في "شكْل" الكِتابة العربية هي طَريقة الخَليل. فهوالَّذي اخترع رسم الضمة والفتحة والكسرة والوصلة والشدة والسكون والمد وكذلك الهمزة. أيْ كل الحركات الَّتي لاَ زلْنَا نستعملها إلى اليوم. ولم يتوقف الخَليل عند هذا الإختراع العملي بل كتَب كِتابا في المَوضوع وسمَّاه " كِتَابٌ في النَّقْطِ وذِكْر عِلَلِهِ" شرح فيه كل شيء عن مَشروعه.
1- الضَّمَّةُ: هي واوصَغيرة تُكْتَبُ فوق الحرف.
2- الفَتْحَةُ: هي ألف صَغيرة تُكْتَبُ أُفُقِيًّا فوق الحرف.
3- الكَسْرَةُ: هي ياء صَغيرة تُكْتَبُ تحت الحرف.
4- السُّكُونُ: قبْل الخَليل، كان يُكْتَبُ جِيمُ صَغير فوق الحرف. أيْ أول حرف من كلمة "جَزْم " الَّتي تَعني السكون. لكن الخَليل فضَّل أنْ يأخُذ آخِر حرف من نفس الكلمة، وهوالميم، ويُزيل منها العَرَّاقة، أيْ الجزء المَكتوب تحت السطر. وهكذا حصَل على صِفْر صغير وضَعه فوق الحرف.
5- الشَّدَّةُ: لقد أخَذ الخَليل أول حرف في كلمة " شدة" وصغَّره وأزال نقطه الثلاث وعَرّاقته ثمّ وضعه كعلامة فوق الحرف.
6- الوَصْلة: وتُسَمَّى أيضا " الصِّلة". فلقد أخذ الخَليل أول حرف فيها( ص ) وصغَّره ثم وضعه فوق الحرف.
7- المَدُّ: أخَذ الخَليل كلمة " مد" وأزال منها حرف الميم والجزء الأسفل من حرف الدَّال واحتفظ بالباقي كعلامة.

8- الـهَمْزَة: لـقد أخَذ الـخَـلـيـل حـرف الـعـيـن ( ع) وأزال مـنـه الـعَـرَّاقَـة، أي الـجـزء الـمَـكـتـوب تـحـت الـسـطـر، واحـتـفـظ فـقـطْ بـالـبـاقـي ( ء ) واسـتـعـمـلـه كـعـلامـة. ولـقـد اخـتـار حـرف الـعـيـن لـتـقـارُب نُـطْـقـه مـع نُـطْـق الـهـمـزة.
يـلـخِّـص أبـوعَـمْـروالـدَّانِـي جـزء مـن عـمَـل الـخَـلـيـل فـي هـذه الـفـقـرة مـن كِـتـابـه "الـمُـحْـكَـمْ فـي نَـقْـط الـقـرآن" ص 7 بـقـوْلـه: "الـشَّـكْـلُ الَّـذِي فِـي الْـكُـتُـبِ (هُـوَ) مِـنْ عَـمَـلِ الْـخَـلـيـل، وهـومَـأْخُـوذٌ مـن صُـوَرِ الْـحُـرُوفِ. فـالـضَّـمَّـةُ وَاوصَـغِـيـرةٌ فـي أعْـلَـى الْـحَـرْفِ لِـئَـلاَّ تَـلْـتَـبِـسَ بـالـوَاوالـمَـكْـتُـوبَـةِ. والـكَـسْـرَةُ يـاءٌ تَـحْـتَ الْـحَـرْفِ، والْـفَـتْـحَـةُ أَلِـفٌ مَـبْـطُـوحَـةٌ فَـوْقَ الْـحـرْفِ"
وإذا كـانـت الـكِـتـابـة الـعـربـيـة قـد أصـبـحـتْ واضِـحـة، بـفـضْـل الـشـكـل والإعـجـام، فـهـذا لا يَـعـنـي أنَّ اسـتـعـمـال الـنـاس لـهـمـا كـان فـي مُـدة قَـصـيـرة، بـل تـطـلَّـب ذلك عـشـرات الـسـنـيـن. ويَـبـقـى الـسـؤال هـوكـيْـف يُـمـكـن أنْ يـفـهَـم ويـكـتُـب الـنـاس لُـغـة بـدون نـحـو؟ تـاريـخ الـنـحـوهـومَـوضـوع الـفـصـل الـثـانـي مـن هـذا الـبـحْـث.

*** *** *** ***

# تاريخ الكتابة العربية

## الفصل الثاني

- عَـهْـدُ عُـثـمـان بـن عَـفَّـان (644 / 656 م):

- مِـنَ الـقُـرآن إلـى الـمُـصْـحَـف.

لـعـل أهـمَّ مـا يـمـيِّـز عـهـد عُـثـمـان هـوأنـه عـرف أكـبـر عَـمـلـيـة تَـدويـن عـرفـهـا الـعـرب حـتـى ذلـك الـتـاريـخ. لـيْـس مـن حـيْـث الـكـم ولـكـن مـن حـيْـث الـنَّـتـائـج الَّـتـي سـتُـسـفـر عـنـهـا هـذه الـعـمـلـيـة.

ففي عهده توسَّعت أرض الإسلام لتشمَل ليبيا وأفغانستان وأجزاء من باكِستان... ومنذ بِداية عهده ستتأكَّد الحَقيقة الَّتي كانت قد بدأت في الظُّهور منذ عهد عُمر بن الخطّاب. هذه الحَقيقة هي أنّ عدد المُسلمين العرب أصبح أقلَّ بكَثير من عدد المُسلمين غيْر العرب. وهوما طَرَحَ مُشْكِلَةً كَبيرة وهي: من أيْن سيأخُذ هؤلاء دينهم؟
حَقيقة أُخرى ظهرت بعُمْقٍ وهي كانت قد بدأت في أوَّل عهد أبي بكر وهي كَثرة المُتوفِّين من الصَّحابة الَّذين كانوا يُعْرَفُونَ بِـ " الْحُفَّاظِ " أيْ الَّذين كانوا يحفَظون القرآن. والأحْياء منهم تفرَّقُوا في البُلدان.
وبما أنّه، منذ عهد عُمَر بن الْخَطَّاب، كانت تُنَظَّمُ مُسابَقات في حِفْظِ القرآن للأطفال، فقد بدأت تظهَر قِراءات مُخْتَلِفَة للقرآن.
كل هذه الأسباب شجَّعت الخَليفة عُثْمان على إكمال العمل الَّذي كان أبوبكر قد بدأه. وقد عيَّن لجنة من " كُتَّاب الْوَحْي" برآسة الصَّحابي" زَيْد بن ثَابِت "
هذه اللَّجنة أكملت العمل السابِق وأنتجت لنا "الْمُصْحَف" بالتَّرتيب الَّذي نعرِفه اليوم. أيْ القُرآن الَّذي أُنْزِلَ على رسول الإسلام ولكن على شكل كِتاب بيْن دَفَّتَيْن. هذا "الْمُصْحَف" كُتِبَتْ منه نُسَخَ كَثيرة وأُرْسِلَتْ إلى أهم المُدن في تلك الفترة. وتُعرف هذه النسخ في كُتب التاريخ تحت إسم " الْمُصْحَفُ الإمام". وإن كنا لا نعرِف كم هوعدد المَصاحِف الَّتي استُنْسِخَتْ انطلاقا من هذه النسخ الأصلية، إلا أنَّه يُمكن القول إنَّ عددها، مع توالي الأيام، كان كَبيرا جدا.

## - عَهْد عَلِي بْن أبِي طالِب (656 / 661 م)

لم يكن عهد عَلِي فترة استقرار سِياسي ولم يشهَد تَوسيعا يُذْكَر للدولة الإسلامية، إلا أنَّ المَصادِر العربية تَكاد تُجمع على أنَّه العهد الَّذي بدأ فيه وضْع الخطوات الأولى للنحوالعربي، كما سنرى ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث. وقد شهد هذا

العهد كذلك ضَرْبَ عُملة إسلامية ( درهم فضي) عليها بعض الكِتابات.

## ج - نُصُوصٌ وخُلاَصَاتٌ

أثناء عملية البحْث في هذا المَوضوع استطعنا جمْع نُصوص كَثيرة تَعود إلى هذه الفترة. النصوص الَّتي أمكن استغلالها، بفضْل وُضوحها، سنعرضها في هذه الفَقرة قبل التكلُّم عن مجموعة من الخُلاصات المُستنتَجة منها. هذه النُّصوص هي:( أُنْظُر اللَّوَحات المُرافِقة)

أوَّلاً: رِسالة مَنسوبة إلى رَسول الإسلام

ثانِيا: شاهِدة قبْر عبد الرحمان بن خَيْر الحِجْري تعود إلى سنة 31 هـ / 652 م

ثالِثا: مُصْحَف مَنسوب للإمام علي بن أبي طالِب: س15 (الحِجْر) آ 18-27.

رابِعا: مُصْحَف مَنسوب للإمام علي بن أبي طالِب: س 7 (الأعراف) آ 1-8.

خامِسا: مُصْحَف مَنسوب للإمام الحُسيْن بن علي: س 18 (الكهف) آ 81-82

سادِسا: مُصْحَف مَنسوب للإمام الحَسَن بن علي: س 36 (يس) آ 37- 38.

سابِعا: حُروف عربية مَأخوذة من شاهِدة قبْر عبد الرحمان بن خَيْرَ الحِجْري.

من خلال استقراء هذه النُّصوص ومُقارَنتها يُمكننا الخُروج بالاستنتاجات التالية:

أوَّلاً: ليْس هناك فرْق كَبير بين الكِتابة في الجاهلية والإسلام وكِلاهما يُشبه الكِتابة النبطية من وُجوه كَثيرة.

ثانِيا: كَثرة الكِتابة أدخلتْ بعض التطوُّر والوُضوح على الكِتابة وبعض الحُروف أصبحتْ مُستقيمة.

ثالِثا: ظُهور الإعْجام ( نَقْط الحروف) ولكن بشكل غيْر مُنظَّم وغيْر مَنهجي.
رابِعا: كَثرة الاستنساخ من "المُصحف الإمام" ساعَد كَثيرا على تطوُّر الكتابة وخُصوصا في العصر اللاحِق أي العصر الأُمَوِي.

## ثالِثا: الكِتابة في العَصْر الأُمَوي (40-132 هـ /661-750م)

يُمكن القول، بكَثير من الأمانة العِلمية، إنَّ العصر الأُمَويَّ هوعصر كَثرة المُسلمين غير العرب. عصر تَنظيم الدوْلة.عصر كانت فيه الدولة عَربية أكثر منها إسلامية، عصر ضَرْب الدِينار والدرهم الإسلاميين. عصر بداية تَدوين الحَديث النَّبوي بشكل جَماعي ومُنظّم، على يد مُحمَّد بن شِهاب الزَّهْري سنة 80 ه /700 م....
ليس غَريبا على عصر عرف كُلَّ هذه الأشياء وغيْرها أنْ يخطُوخَطوات كَبيرةً في تَطوُّر الكِتابة العربية. وفيما يخُصّ مَوضوع بحْثنا عرَف هذا العصر ظُهور "النَّقْط / الشَّكْل" وبداية الخَطوات الأولى في النحوالعربي مع "أبِي الأسْوَد الدُّؤَلي" وتَلاَمِيذه.

### أ- ظُهور الشَّكْل / النَّقْط في الكِتابة.

كانت اللُّغة العربية، حتى العصر الأموي، تُكْتَبُ بدون الحَرَكات ( المُصَوِّتات) القَصيرة بل فقط بالحُروف. وحتى هذه الحُروف لم تكن مَنقوطة. ومع ذلك لم يكن هذا الأمر يطرَح أدنى مُشكِلة للعرب الأقحاح الَّذين تربَّوْا في بِيئة عربية خالِصة. ولكن أبناءهم الَّذين وُلِدُوا في المُدن وعاشُوا مع غيْر العرب - وكذا المُسلمين من غيْر العرب - كانوا يجدون صُعوبات كَثيرةً في القراءة والكِتابة، وخُصوصا قِراءة وفهم النُّصوص الدينية المُؤسِّسة، من قُرآن وسنة. فـ "المُصْحَفُ الإمَامُ"، الَّذي كُتِبَ بدون نُقَطٍ ولاَ حَرَكات، كان يطرَح مَشاكِل، أكثر مما يُعطي من حُلول. ففي العصر الأموي أصبح الوعي كَبيرا، خاصة عند

العلماء ورجال الدولة، بِضَرورة إدخال بعض التَّعديلات على الكِتابة. وذلك لتَسهيل القراءة والفهْم على الناس وخاصة المُسلمين من غيْر العرب، وهم الأغلبية الساحِقة. لقد كان ذلك هوالدافِع الحَقيقي لظُهور الشَّكْل / النَّقْط.

## - ما مَعْنَى الشَّكْل / النَّقْط؟

إذا أخذنا القاموس وبحثنا عن مَعنى كلمة "شكل" فإنَّنا سنجد:
- شكَل الحَيَوان: أيْ قيَّده ورَبَطه من رِجليْه. = شكَل: قَيَّد ورَبَطَ لكي يمنَع من الهَرَب. = شِكال: الحبل الَّذي نربِط به الحَيَوان. = أشْكَل الأمْر: أصْبَحَ غامِضًا. = شَكْل: هيْأة خارِجية.
إذا تركَنا القاموس وبحثْنا عن مَعنى الشكل في اللُّغة ( الاصطلاح) فإنَّ كلمة " شكْل" تَعني إزالة الغُموض واللُّبس عن الكَلمة وتَفادي الخطأ (التَّصحيف) في القِراءة. إذاً الشّكل هوتَقييد للمعنى لكي لا يهرُب أويختلط بمَعنى آخَر. والشَّكل بهذا المَعنى، أي حَركات ونُقط عَلى أوتحت الحُروف، مَوجود في الكِتابة السريانية والعبرية ولكنه غيْر مَوجود في الكِتابة النَّبَطية الَّتي هي أصل العربية.

## - متى بدَأ الشَّكل / النَّقْط؟

لا نعرِف بالضبط متى بدَأ الشكل في الكِتابة العربية، ولكن لدينا نُصوصًا كَثيرةً تُرجعه إلى عصر الصَّحابة والتَّابِعين. فهذا "أبوعَمروالداني"، وهوأحد أكبر المُتخصِّصين في القُرآن إنْ لم يكُن أكبرهم على الإطلاق وفي كل العُصور، يقُول في كِتابه " المُحْكَمْ في نَقْطِ القُرآن" ص 2 نَقْلا عن "الإمام الأوْزَاعِي" " سمِعتُ قَتَادة يقُول عن الصَّحابة: " بَدَؤُوا فَنَقَطُوا، ثُمَّ خَمَّسُوا، ثُمَّ عَشَّروا". ومَعلوم أنَّ قَتَادة هو" تابِعي" أيْ عاشَر مَجموعة من الصَّحابة. ومعنى النص أنَّ الصَّحابة كانوا يضعُون النقط كَحَركات على الحُروف في المَصاحِف الَّتي كانوا

يستعملونها. وهذا "القَلقشندي" في " صُبْح الأعشى..." ج 3 ص 155 يقُول: " كان الصَّحابة قد جَرَّدوا المَصَاحِفَ من الشَّكْل". وفي نفس المَعنى أورد الأستاذ صُبْحِي الصَالِح قَوْلَةً لعَبْد الله بن مَسْعُود، وهومن أوائل المُسلمين وكِبار الصَّحابة، يقُول فيها " جَرِّدُوا القُرآن ولا تَخْلِطُوه بِشَيْءٍ ". وفي نفْس السَّياق يُزوِّدنا ابْنُ أبِي دَاوُود[8] السِّجِسْتَانِي في كِتابه " المَصَاحِفُ" ج 4 ص 141 بِنص عن الحَسَن بن علي ( حَفيد رَّسول الإسلام) فيَقول إنَّه "كان يَكْرَهُ تَنقِيطَ المَصَاحِفِ بالنَّحْوِ". كل ما سبَق يُعْتَبَرُ دَليلا بالمُخالفة إذْ كَيْف يُمكن أن يكرَهوا النَّقط وكيْف لهم أنْ يُزيلُوه إذَا لم يكُن مَوجودا.
ويؤكِّد أبُوعَمْروالدَّانِي، دائما في " المُحْكَم..."، أنَّ ذلك كان عادة عندهم منذ القَديم وأنَّهم كانوا يستعملون الألوان المُختلفة، فيقُول في ص 19:" إنَّ أهْلَ المَدِينَةِ فِي قَدِيم الدَّهْر وحَدِيثِهِ، قَدْ اِسْتَعْمَلُوا في نَقْطِ مَصَاحِفِهِمْ الْحُمْرَةَ والصُّفْرَةَ. فَأمَّا الْحُمْرَةُ فَلِلْحَرَكَاتِ والسُّكُون والتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ. وأمَّا الصُّفْرَةُ فَلِلْهَمْزَاتِ خَاصَّةً"
بعْد كلِّ هذه النُّصوص، وإنْ أصبحنا متأكِّدين أنَّ الشَّكْل، أيْ وضْع نِقَاط، كَحَركات قَصيرة، فوق أوتحت الحُروف بألوان مُخْتلِفة، كان مَوجودا في عهد الصَّحابة خُصوصا في المَصاحِف. فإنَّنا لا نعرِف بالضبط هل كان هذا مَوجودا قبْل" المُصْحَفِ الإمَام" ولا من أين أخَذ العرب الشَّكل.

## - الشَّكل / النَّقْط: من أين جاء؟

كنا قد ختمنا فَقرة سابِقة بقولنا إنَّ النبطية لا شَكْل فيها. فهل يُمكن أنْ يكُون العرب قد أخَذوه من العِبْرية والسُّرْيانية؟
تُفيد الدَّراسات المُتخصِّصة أنَّ اللغة العِبْرية استعملت الشَّكْل بِوضْع النُّقط على الحُروف لتَوضيح الحركات القَصيرة وتسهيل القِراءة، وذلك منذ القرن الخامِس المِيلادي. وبما أنَّ

[8] هكذا على غِلاف الكِتاب بدل "داود" بواوواحدة وهوالأصَحُّ.

اليَهود كانوا يسكُنون في مُختلَف أنحاء الجَزيرة العربية منذ قُرون طَويلة، فلا شيء يمنَع من مُحاكاة الكِتابة العبرية خُصوصا وأنَّ مُسلمين كَثيرين كانوا يعرفُون هذه اللُّغة فهْما وكلاما وكِتابة منذ عهد النبي الَّذي كان قد أمر " أبُوخَارِجَة" بتعلُّمها.
نفس الاحتمال يَبقى واردا فيما يخُصُّ السريانية. وإنْ كان الميْل عُموما هو أكثر إلى هذه الفَرَضية. لكون العرب المَسيحيين في شمال الجَزيرة، وما أكثرهم في تلك الفَترة، كانوا يعرِفون اللغة والكِتابة السريانية. بل النبي نفسه كان قد أمَر " زَيْد بْن ثَابِث" بتعلُّم السُّرْيانية.
لكن الأكيد هوأنَّ الشَّكل بهذه الطَّريقة لم يكُن مُنظَّما ولا إجباريا بل بقِي مَسألة شَخصية فردية دون أنْ يتحوَّل إلى ظاهِرة عامة. والدَّليل على هذا هوأنَّ نفس المُصْحَف، كتَبه نفس الشَّخص، نجده غيْر كامِل الشَّكل. ويبقى السُّؤال هل يُمكن أنْ نَشكُل لُغة، بشكل مَنهجي ومنظَّم، وهي لا تتوفَّر على نحووقواعد؟ هذا السُّؤال سيُحاول " أبُوالأسْوَد الدُّؤَلي أنْ يُجيب عنه.

## ب- أبُوالأسْوَد الدُّؤَلِي ( تُوفِيَ 69 هـ/ 689 م) وتَعميم الشَّكْل.

لم يكن " أبُوالأسْوَد الدُّؤَلي" عالِما يَعيش خارج المُجتمَع، بل سُكناه في جَنوب العِراق حيْث عدد كَبير من المُسلمين غيْر العرب، مكَّنته من التعرُّف عن قُرب على المَشاكل اللغوية الَّتي كانت تُواجِه هؤلاء الراغِبين في مَعرفة أُمور دِينهم. هذا الواقِع جعله مُستعِدًّا لكي يفعَل شيء يسهِّل به على الناس، إلى أنْ وقعتْ له حِكايتان: الأُولى مع ابنته والثانية مع مُسلم غيْر عربي.

### - مع ابنِته.

تَحكي المَصادِر التاريخية أنَّ " أبا الأسود" كان في بيْته، فدخلتْ بنته وقالتْ: " مَا أجْمَلُ السَّمَاءِ" برفْع كَلِمة "أجملُ" فاعتقد "أبوالأسود" أنَّها تسأله. فَأجاب قائلا:" نُجُومُهَا" أيْ أنَّ

النُّجوم هي أجمل شيء في السَّماء. ولكنّ بنته ردّتْ عليه قائلة: " أنا أتعجَّبُ ولا أسأل". فقال لها: " قولي "ما أجملَ السَّماءَ" وافتَحي فمكِ."
لقد وصلتنا هذه القِصّة بجُمل وتَعابير مُختلِفة لكن النَّتيجة تَبقى واحِدة دائما. وهي أنَّ أبناء العرب الَّذين وُلِدُوا خارج الجَزيرة العربية واختلطوا بغيْر العرب، بدؤُوا يفقِدون اللُّغة العربية، وأصبحوا غيْرَ قادِرين على التَّعبير السَّليم، وذلك يؤدِّي إلى اختلاط المعاني. **إنَّ الهوية العربية أصبحت في خطر حتى من أبنائها. وإذا ضاعتْ اللُّغة الَّتي هي أساس الهوية العربية فإن الدِّين بدوره سيَضيع. هذا هوناقوس الخطر كما فهمه " أبوالأسود الدُّؤَلي".**

**- مع مُسْلم غيْر عربي.**

تَحكي المَصادِر التاريخية أنّ "أبا الأسود الدُّؤلي" سمِع مُسلِما غيْر عربي يقرَأ الآية 3 س 9 (التوبة) بطَريقة خاطِئة قلبتْ المَعنى تماما وجعلتْه مُستحِيلا. فلآية تقُول " ...أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ" والمعنى هوأنَّ الله والرّسول يتبرَّآن من المُشركين. ولكن الرجل قرأ: " ...أنّ الله بريء من المشركين ورسولِه" أيْ أنَّه وضع الكَسْرة تحت حرف اللام في كلمة "رسولِه" بدلا من الضمة. وبذلك أصبح المعنى أنّ الله يتبرَّأ من المُشركِين ومن الرَّسول أيضا وهوشيء مُستحيل قُبوله.
فسواء كانت هذه القصة صَحيحة أم لا، وكيْفما وقعتْ، فإنّ النَّتيجة هي واحِدة دائما. **هناك مُسلمون غير عرب يبذُلون جهدا في تعلُّم اللُّغة العربية ولكنهم لا زالوا عاجِزين عن قِراءة وفهْم القُرآن بشكْل سَليم.**
تُضيف المَصادِر أنّ "أبا الأسود"، بعد أنْ سمِع تلك القِراءة الخاطِئة، ذهب إلى الحاكِم وقبِل ما كان قد رفضَه من قبل. أيْ قبِل أنْ يقُوم بشَكْل القرآن شكْلا تامّا. وسواء كان ذلك الحاكِم هو"زياد بن أبيهِ" أوالحَجَّاج بن يُوسف " أوالخَليفة "عَبْد المَلِك بن مَرْوان " نفسه، فإنَّ هذا اللّقاء وهذا التوافُق هوتماما ما يحتاجُه **مَشروع "عِلْمِي"** يتعلَّق بمَصير لُغة ودين. **فالعالِم "أبوالأسود" يمثِّل السُّلطة الثَّقافية والْعِلمية الَّتي ستُنجز**

**المَشروع. والحاكِم هوالسُّلطة الحاضِنة للمَشروع والقادِرة على نشْره في كلِّ أنحاء الإمبراطورية الإسلامية**. ولكن إذا بقِينا عند هذا المُستوى لا يُمكننا أنْ نفهَم تردُّد "أبي الأسود" في القِيام بشيء كل الناس يقومون به منذ عهد الصَّحابة ولكن بشكل غيْر مُنظَّم وغيْر مَنهجي.
أعتقد جازما أنَّ "أبا الأسود" لم يرفُض نَقط / شكْل القُرآن **ولكنه رفض تَوحيد النقط وخُصوصا فرْض طريقته على الجَميع من طرف السُّلطة الحاضِنة.**
زوّدتْ السُّلطة الحاضِنة "أبا الأسود" بثلاثين كَاتِبا خَطّاطا. وبعد أنْ جرَّبهم جَميعا، اختار "أبوالأسود" واحِدا فقط "لبَراعَته وفَصاحَته وجوْدة خطّه".
ويروي لنا " أبوعَمْروالدَّاني" في "المُحكَم..." ص4/3 أنّ "أبا الأسود" قال للكاتِب :" إذا رَأيْتَنِي فَتَحْتُ شَفَتِي بالْحَرْفِ فانْقُطْ وَاحِدَةً فَوْقَهُ، وإذَا كَسَرْتُهَا فَانْقُطْ وَاحِدَةً أسْفَلَهُ، وَإذَا ضَمَمْتُهَا فَاجْعَلِ النُّقْطَةَ بيْن يَدَي الْحَرْفِ، فَإنْ تَبِعَتْ شَيْءً مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ غُنَّةٌ فانْقُطْ نُقْطَتَيْن." وكان يُراجِع كلَّ صَفحة إلى أنْ أكمل نَقْط المُصْحَف.
من خلال هذا النص يكُون "أبوالأسود" قد أوجد حلاً لكتابة الفَتحة والضمة والكسرة و" الغُنَّة " أيْ التَّنوين. وبقِي السُّكون والمد والشدة والوصلة بدون حل.
وقد احتفظتْ لنا المَصادِر بنسخ من المَصاحِف مَنْسُوبَة إلى الخَليفة " عُثمان بن عَفَّان" مَنقوطة على طَريقة "أبي الأسود" إستطعنا الحُصول على لوحتين منهما:
1- اللَّوحة الأولى هي قِطعة من سورة 61 (الصَّف) الآية 14. حيث يظهَر الشَّكل واضِحا.
2- اللَّوحة الثانية هي قِطعة من سورة 62 ( الجُمُعة) الآية 1-4 ويظهَر الشَّكل فيها أيضا.

## ت - تَلاَمِيذُ أبي الأسود: ظُهُورُ الشَّدَّة.

بعد "أبي الأسود" أخذ تَلاميذه يسِيرون على خَطواته ويُحاولون ما أمكن تَعميم طَريقته في النَّقط، حتى تُصبح العملية مُوحَّدة بيْن أكبر عدد مُمكن من الناس، ومن المُتعلّمين. إنها عملية صعبة جدا، في دولة تمتدُّ من حُدود الهنْد شرقا إلى المَغرب غربا، ومن تُرْكيا شَمالا إلى السُودان جنوبا، مع غِياب قَنوات إعلامية وتَعليمية كالمَدارس والجامِعات.
وتذكُر المَصادِر على الخُصوص "يَحْيَى بن يَعْمُر" وهوتِلميذ "أبي الأسود"، وكان قاضِيًا في مَدينة " مَرْو" الإيرانية حيث أشرف على نَقْط المَصاحِف على طَريقة أستاذه إلى أنْ تُوفِيَ سنة 90 هـ / 709 م وهولم يتجاوَز 45 سنةً من عُمْره.
ويبْرُز أيضًا " نَصْر بن عَاصِم"، وهوتِلميذ لِـ "أبي الأسود" ولِـ "يَحْيَى بن يَعْمُر"، الَّذي يسمِّيه "الجاحِظ" "نَصْر الْحُرُوف" وذلك، فيما نعتقد، لشِدَّة اشتغاله بها إلى أنْ تُوفِيَ سنة 89 هـ / 708م.
ولقد حاوَل تَلاميذ أبي الأسود أنْ يُدخلوا تَحسينات على طَريقته في النَّقط. فنجدهم قد استعملوا الألوان لكي يُصبح النقط أكثر وُضوحا. ولكن كل جِهة كانت تختار ألوانها. ففي العِراق مثلا كانوا يستعملون اللَّون الأحمر لإظهار نُقط الشكل والهمزة في الوقت الَّذي كان فيه أهل "المَدينة" يضَعون نُقط الشكل باللَّون الأحمر وخصَّصوا اللَّون الأصفر للهمزة. أما الأندلسيون والمغاربة عُموما فقد أخذوا طَريقة أهل "المَدينة" وزادوا اللَّون الأخضر لإظهار ألف الوصل. وهذا الاختلاف دَليل كافٍ على أنَّ طَريقة أبي الأسود لم تتعمَّم.
ولكن الشَّدَّة حَظِيَتْ باهتمام كَبير في هذه الفترة. وقد قُدِّمَتْ مَجموعة من الحُلول لها. ففي مَرحلة أولى اختاروا قَوْسًا صَغيرا مَفتوحا نحوالأعلى لكي يستعملوه كشدَّة. فالشَّدّة بالفتحة كانت قوسا فوق الحرف مع نُقطة فوقه. والشَّدّة بالضمة كانت قوسا فوق الحرف مع نُقطة على يساره. والشَّدّة بالكسرة كانت قوسا تحته نُقطة يوضَع تحت الحرف.
وفي مَرحلة ثانِية كان لابدّ من التَّخفيف بعض الشيء، فتمت إزالة النقطة عن الشَّدّة وأصبح القوس كافيا لوحده. وهكذا

أصبحت الشَّدّة بالفتحة قوسا مَفتوحا نحوالأعلى يُوضَع فوق الحرف. والشَّدّة بالكَسرة قوسا مَفتوحا نحوالأسفل تحت الحرف. والشَّدّة بالضَّمة قوسا مَفتوحا نحوالأسفل يُكْتَبُ فوق الحرف.
والجدول التالي يلخِّص المَرحلتين:

| | الشَّدَّة بالْفَتْحَة | الشَّدَّة بالْكَسْرَة | الشَّدَّة بالضَّمَّة |
|---|---|---|---|
| المَرْحَلَة الأولى | | | |
| المَرْحَلَة الثَّانية | | | |

## ج - بَعْضُ النُّصُوص الأَمَويَّة.(أُنْظُرْ اللَّوحات المُرافِقة)

ساعدتنا الظُروف في الحُصول على مَجموعة من الوثائق الَّتي تعُود للعصر الأموي. وبالرغم من أهميتها الكَبيرة في مَوضوعنا إلا أنَّها وللأسف لا تتعدَّى سنة 72هـ / 692م. ومن مَجموع هذه الوثائق، اِخترنا ما يلي:
1- شاهِدة قبر مُعاوية وهي تَعود إلى سنة 58 هـ / 678م وهي من ستة أسطر قَصيرة ولا تتعدَّى ثَلاثين كَلمة.
2- شاهِدة قبر ثابِت بن يَزيد الأسْعَدِي/ الأشْعَري وهي تَعود إلى سنة 64 هـ / 684م وهي عِبارة عن إثني عشر سطرا أطولها يتكوَّن من خمس كَلمات.
3- النقش الداخِلي لقُبَّة الصَّخْرة وهي تَعود إلى سنة 72 هـ / 692 م.
4- مَجموعة من الحُروف مأخوذة من عدد من البَرْدِيات تعود إلى فَترات مُختلفة من العصر الرَّاشِدي والأموي.
**ومن خِلال هذه الوثائق وغيْرها يُمكن أن نَقول:**
1- الكِتابة العربية أصبحت كِتابة سَرِيعَة وأكثر طواعية.
2- كل الحُروف بدأت تأخُذ شكلها شبه النهائي الَّذي نعرفه اليوْم.
3- الألف كحرف مد طويل لا يُكتب في وسط الكلمة.

4- بعض الكلمات جزء منها في آخِر السَّطر والجزء الآخر في السطر المُوالي.
5- ظُهورُ بعض نُقَط الإعجام على بعض الحُروف لتَمييزها من بعضها في شاهدة السد ونقش قُبة الصخرة وغيابها تماما في شاهدة قبر ثابت والبرديات.
بصِفة عامة، وإلى حدود هذا العصر، هناك وضوح أكبر في الكِتابة العربية، ومُحاولات جادّة لتَطويرها وتَسهيلها مع عدم اِنضباط الجَميع لمُحاوَلات التَّوحيد. هذه الجهود في النَّقط ستعرف شكلها النهائي في العصر العباسي الأوَّل على يد العالِم اللُّغوي الكَبير الخَلِيل بن أحمد الفراهدي.

## رَابِعا: الْعَصْر الْعَبَّاسي الأوَّل (132- 232 هـ / 750- 846 م)

اجتمعتْ ظُروف كَثيرة ومُتنوعة في هذا العصر، ساهمتْ كلها في أنْ تأخُذ الكتابة شكلها النِّهائي الَّذي نستعمله حتى الآن.
هذه الظُّروف نذكُر منها:
1- الإمبراطورية العباسية تُسيطر على كل الشرق الأدنى القديم: من المغرب غربا إلى حُدود الهِنْد شَرقا.
2- هذه الرقعة الجغرافية هي الَّتي عرَفتْ أعرق الحَضارات الإنسانية.
3- التُّجار المُسلمين يُسيطرون تقريبا على كل الطُّرق التَّجارية.
4- نقَل هؤلاء التُّجار تِقْنية صِناعة الورق من الصِّين ونشروها في العالَم الإسلامي. والورق يُساعد على تطوُّر وانتشار الكِتابة والمَكتوب.
5- وجود إرادة سياسية قوية لنشر العلم والاستفادة من الحضارات السَّابقة ابتداء من عهد الخَليفة "المأمون" العبَّاسي.
6- بفضل هذه الرِّعاية السياسية، ترجم العرب والمُسلمون، وفي أقلَّ من مِئة سنة، كلَّ العُلُوم الَّتي كانت مَعروفة في ذلك الوقت عند كل الأمم.

7- ابتداء من هذا العصر، بدَأ العرب والمُسلمون يُدَوِّنُونَ كلَّ شيء عن تاريخهم. وهذا العصر يُعْتَبَرُ بحق بِداية "عَصْر التَّدْوين" أيْ بداية التحوُّل من الثَّقافة الشَّفَويَّةِ إلى الثَّقافة الكِتَابِيَّة.
8- اِنتشار عدد كَبير جدا من المَكتبات والورّاقين في كل أنحاء الإمبراطورية.
لكن هذه الجُهود وهذه الظُّروف تَبقى بدون أية قِيمة مادامتْ اللُّغة الَّتي سنُترجم إليْها لا يفهَمها أكبر عدد مُمكن من الناس، وكِتابتها لا تزال تطرَح مشاكِل كَثيرة لمُستعمليها. **إنَّ كل هذه الظُّروف المُساعِدة لا تُساوي شيء بدون لغة مَكتوبة بشكل مُوحَّد ومَفهومة من الجَميع. هذا هوالسَّبب الَّذي جعل العُلماء يهتمُّون، أوَّلا وقبل كُل شيء، باللُّغة لأنَّها عِماد كل ثقافة.**
هذا التحوُّل في الثَّقافة العربية من الشَّفَوي إلى الكِتابي كان مُستحيلا بدون حل مُشكلة "الإعجام" وإعطاء حل نِهائي لمُشكلة الشَّكل / النقط. في الفَقرتيْن التالِيتيْن سنتطرَّق إلى ذلك مع تَقديم فَقرة "الإعجام" على فَقرة " الشَّكْل" لأسباب "ديداكتيكية" مَحضة.

## أ- الإعْجَام.

إذا أخذنا القاموس وبحثنا عن مَعنى كلمة "إعْجَام" فإنَّنا سنجد:
= الإعجام: إزَالَةُ الغُمُوض. وَهُومَصْدَرٌ عَلى وَزْن " إفْعَال " = أعْجَمْتُ الْكِتَابَ: وَضَّحْتُهُ وأزَلْتُ غُمُوضَهُ. = المُعْجَمُ= هوالقَامُوسُ الَّذِي يَشْرَحُ مَعْنَى الكَلِمات. = الأعْجَمِي: غَيْرُ وَاضِحِ النُّطْقِ وَالْكِتَابَةِ. = والفِعْلُ هوأعْجَمَ وعَكْسُهُ إسْتَعْجَمَ أيْ أصْبَحَ مُسْتَغْلَقًا غَيْرَ مَفْهُومٍ. ونَقُولُ: إسْتَعْجَمَ الْكِتَابُ أي إسْتَغْلَقَ ولَمْ يُفْهَمْ.
**الإعجام** في القاموس هوالإيضاح والتَّفسير. وفي الاصطلاح يَعني **وضْع النُّقط فوْق أوتحت الحُروف ذات الرَّسم المُتشابه لتمييزها من بعضها**. بهذه الطَّريقة وحدها حافَظت الكِتابة العربية على

نفس رسْم الحروف الأربعة عشر، وضاعَفتها بفضْل نُقَطِ الإعجام.
فعندما كَثُرتِ الْكِتابة وانتشر المَكتوب أصبحتْ الأخطاء في القِراءة شائِعة بكثرة. لا نقصد خطأ في إعراب الكلمة وتغيير حَركة آخِر حرف فيها، بل الخطأ في قراءة الكلمة نفسها أيْ ما يُعْرَفُ بـ "التَّصْحِيف". وقد احتفظت لنا كُتُبُ التاريخ ببعض النماذج من "التَّصحيف" ومنها ما أدّى إلى مآسي إنسانية. سنورد مِثاليْن فقط:
- المِثال الأوَّل: حادِثة وقعتْ في عهد الخَليفة "عُثْمَان بن عَفَّان" الَّذي عيَّن حاكِما على مِصر. وفي رِسالة تَعيينه جاءت الكلمة بدون نقط الإعجام في الجُملة التالية:" إذَا جَاءَكُمْ رَسُولي فاقْبَلُوهُ" ولكن الناس قرؤُوها: "فاقْتُلُوه". وهكذا تسبب غِياب نُقط الإعجام في قِراءة خاطئة وقتْل رجل بريء.
- المِثال الثاني: وقع في عهد الخَليفة الأُمَوي سُلَيْمان بْن عَبْد الْمَلِك (تُوفِيَ 99 هـ / 718 م). ففي ردِّه على رِسالة من حاكِم يستشيره في مَجموعة من تِسْعة مَساجين، جاءت الكلمة التالية :" " بدون نُقط الإعجام في الجُملة التالية: " أنْ احْصِ المُخَنَّثِين" فقرأها الكاتِب " أنْ اخْصِ المُخَنَّثِينَ " فأخْصاهُم[9] الحاكِم. وهكذا أيْضًا تسبَّب غِياب نُقط الإعجام في قِراءة خاطِئة
وفي مأساة إنسانية.
وإذا كان هذا الحال في رسائل لا تتجاوز عادة صَفحة واحدة، فإنَّ كِتابا مِثل "المُصْحَف" على الرَّسم العُثماني، أي بدون نُقط الإعجام ولا حركات سيُؤَدِّي بدون شك إلى أخطاء كَثِيرة جدا في القِراءة، خُصوصا عند أولئك الَّذين لا يحفظُونه. وباعتباره الكِتاب المُقَدَّسَ والأكثر قِراءة، فإنَّ مِثل هذه الأخطاء لا يُمكن قُبولها.
العصر العباسي الأوَّل سيعرف الظُّهُور المُنظَّم لنُقط الإعجام والاستمرار في استعمالها إلى اليوْم. وهكذا كانت **النَّتيجة الأُولى** أنَّ

[9] Castrer : أَخْصَى / يُخْصِي

الخلْط لم يعد مُمكنا بيْن الحُروف المُتشابهة في الرَّسم. وأصبح مُمكنا التَّمييز وبسُهولة، بين الحاء والخاء والجيم ...إلخ. و**النَّتيجة الثانِية** كانت، هي إعادة تَرتيب الحُروف العربية حيث أصبحتْ كما نعرفها اليوم.

والسؤال الَّذي يطرَح نفسه على بحْثنا التاريخي هذا هو: هل كان الإعجام مَوجودا في العربية قبل العصر العبَّاسي؟ الجواب هو" نعم ". فبالرّغم من كَوْن النبطية لا إعجام فيها، فإنَّ العربية عرفتْ نُقط الإعجام رُبَّما بتَأثير من السُّريانية أوالعبرية.

ففي العصر الجاهِلي، ومن خلال الشَّعر نعرف أنَّ الإعجام كان يُسَمَّى " الرَّقْشُ". وفي زمن النبي كان الإعجام مَعروفا تحت نفس الاسم " الرَّقش". ففي رِواية عن مُعَاوِيَة بن أبِي سُفْيَان" جاء فيها: " كَتَبْتُ بيْن يَدَيْ رَسُولِ الله فقال لي: "يا مُعَاوِية أُرْقُشْ كِتابكَ" فقلتُ "وما رَقْشُهُ يا رَسُولَ الله؟" فقال :" أعْطِ كُلَّ حَرْفٍ مَا يَنُوبُهُ من النُّقَطْ". وفي العهد الرَّاشِدي وصلتْنا بردِيات مُعجَمة بشكل جُزئي أيْ بعض الحُروف وليس في كُلِّها. وفي العصر الأموي يظهَر الإعجام بشكل واضِح في شاهِدة سد مُعاوية الَّتي تَعود إلى سنة 58 هـ / 678 م وكذلك في نقْش قُبة الصخرة. ولكنه في الوَثيقتين لا يخضَع لنِظام مَضْبوط. فهوفي بعض الحُروف في بعض الكَلمات وليس في كُلِّها.

وحتى في العصر العباسي كان الإعجام يُستعمل فقط في بعض الكلمات الَّتي تُؤَدِّي إلى الغُموض. وكان الناس الَّذين يُحسنون القِراءة والكِتابة يكْرهون الإعجام. وكان إرسال رِسالة بها نُقَط الإعجام، يُعْتَبَر شكًا في مَقدُرة القارئ على القِراءة السَّليمة. وبقِي أغلبية العُلماء يكرَهون إعجام المَصاحِف العُثمانية وعلى رأسهم الإمام "مَالِك بن أنَس". لكنَّ الناس العادِيين، وهم الأغلبية، كانوا يُحِبُّون الإعجام في الكِتابة ويبحَثون عن السُّهولة. وهكذا كان هناك نوْعان من المَصاحِف يستعملها حتى المُتخصِّصون في الدِّراسات القُرآنِية. مَصاحِف مُعْجَمَة ومَشكولة يستعملونها لتَعليم الناس. ومَصاحِف بلا إعجام ولا شكل يستعملونها فيما بيْنهم. واستمرّتْ هذه

الوَضْعِيَّة حتى القرن الخامِس الهجري الحادي عشر المِيلادي. وباستثناء ذلك فإنَّ الناس لم ينتظروا الضوء الأخضر من أحد حتى يسهِّلوا على أنفسهم الفهْم والقِراءة.
إنَّ استعمال الإعجام بكثرة في العصر العباسي كانت له نتائج حاسمة في الوُصول إلى الخُطوة النهائية في تاريخ تَبسيط الكِتابة العربية. فالإعجام هومن سيُطيح بالشَّكل / النَّقْط على طَريقة أبي الأسود. ومن سيَقُوم بذلك هوالعالِم الكَبير الخَليل بن أحْمَد الفَرَاهِدِي. وهوما سندرُسه في الفقرة التالية.

## ت - الشَّكْلُ : الْخَلِيلُ (توفى 175 هـ/ 792م) والْحَلُّ النِّهَائِي.

**إنّ كثرة اِستعمال الإعجام في الكِتابة أظهر بوُضوح شَديد مَحدودية الحُلول الَّتي طرَحها "أبوالأسود"**. فطريقته في الشكل عن طَريق وضع نقطة أونُقطتين فوق أوتحت أوعلى يسار الحرف أصبحتْ عائقا بدلا من أنْ تَكون حلا. وبشكل مُبسَّط فلنتصوَّرْ ما يلي:
- حرف الثاء أصبح يُكتَبُ، بعد الإعجام، بثلاث نقط فوقه. فإذا جاء بضمَّتين في آخِر الكلمة فهما نُقْطَتان أُخْريتان على طَريقة أبي الأسود: في هذه الحالة هذا الحرف ستكون فوْقه خمسُ نُقط. نفس الشيء بالنِسبة لحرف الشِّين. فكم من المِساحة يجب أنْ نترُك بين الأسطر؟ في زمن الورق فيه ثمنه مُرتفِع جدا.
- حرف التاء أصبح يُكْتَبُ، بعد الإعجام، بنُقطتين فوقه. فإذا جاء بالفتحة أضَفنا له نُقطة أخرى على طَريقة أبي الأسود. وفي هذه الحالة لا يُمكن أنْ نُميِّزه عن الثاء.
- حرف الباء أصبح يُكْتَبُ، بعد الإعجام، بنُقطة واحِدة تحته. فإذا جاء بكَسرة أضفنا له نُقطة أُخْرى على طَريقة أبي الأسود. وفي هذه الحالة لا يُمكن أنْ نُميِّزه عن الياء.
- حرف النون أصبح يُكْتَبُ، بعد الإعجام، بنُقطة واحِدة فوقه. فإذا جاء بالفتحة أضَفنا له نُقطة أخرى على طَريقة أبي الأسود.

وفي هذه الحالة لا يُمكن أنْ نُميِّزه عن التاء. وإذا جاء بفتحتين لا يُكمن أنْ نُميِّزه الثاء...

ولكي لا نُطيل فواضِح جدا من هذه الأمثلة أنَّ الجمع بيْن الإعجام والشكل على طَريقة أبي الأسود، يطرَح مَشاكل جَديدة أكثر مما يطرَح من حُلول. وأنَّ اللُّجوء إلى الألوان للتَّمييز بين نُقط الإعجام ونُقط الشكل سيجعَل ثَمن الكُتُب مُرتفِع جدا ولن يستطيع الناس أن يشتروها. **لقد أدَّى انتشار الإعجام إلى الإسراع بانحصار اِستعمال طَريقة أبي الأسود في الشكل وإلى موتها وإنْ بقِيتْ مُستعمَلة في المَصاحِف إلى القرن الخامِس الهجري الحادي عشر المِيلادي.**

آخِر مُحاولة لإختراع طَريقة في "شكْل" الكِتابة العربية هي طَريقة الخَليل. فهوالَّذي اخترع رسم الضمة والفتحة والكسرة والوصلة والشدة والسكون والمد وكذلك الهمزة. أيْ كل الحركات الَّتي لاَ زِلْنَا نستعملها إلى اليوم. ولم يتوقف الخَليل عند هذا الإختراع العملي بل كتَب كِتابا في المَوضوع وسمَّاه " كِتَابٌ في النَّقْطِ وذِكْر عِلَلِهِ" شرح فيه كل شيء عن مَشروعه.
1- الضَّمَّةُ: هي واوصَغيرة تُكْتَبُ فوق الحرف.
2- الفَتْحَةُ: هي ألف صَغيرة تُكْتَبُ أُفُقِيًّا فوق الحرف.
3- الكَسْرَةُ: هي ياء صَغيرة تُكْتَبُ تحت الحرف.
4- السُّكُونُ: قبْل الخَليل، كان يُكْتَبُ جِيمُ صَغير فوق الحرف. أيْ أول حرف من كلمة "جَزْم " الَّتي تَعني السكون. لكن الخَليل فضَّل أنْ يأخُذ آخِر حرف من نفس الكلمة، وهوالميم، ويُزيل منها العَرَّاقة، أيْ الجزء المَكتوب تحت السطر. وهكذا حصَل على صِفْر صغير وضَعه فوق الحرف.
5- الشَّدَّةُ: لقد أخَذ الخَليل أول حرف في كلمة " شدة" وصغَّره وأزال نقطه الثلاث وعَرّاقته ثمّ وضعه كعلامة فوق الحرف.
6- الوَصْلة: وتُسَمَّى أيضا " الصِّلة". فلقد أخذ الخَليل أول حرف فيها( ص ) وصغَّره ثم وضعه فوق الحرف.

7- المَدُّ: أخَذ الخَليل كلمة " مد" وأزال منها حرف الميم والجزء الأسفل من حرف الدَّال واحتفظ بالباقي كعلامة.
8- الهَمْزَة: لقد أخَذ الخَليل حرف العين ( ع) وأزال منه العَرَّاقَة، أي الجزء المَكتوب تحت السطر، واحتفظ فقطْ بالباقي ( ء ) واستعمله كعلامة. ولقد اختار حرف العين لتقارُب نُطْقه مع نُطْق الهمزة.
يلخِّص أبوعَمْروالدَّانِي جزء من عمَل الخَليل في هذه الفقرة من كِتابه "المُحْكَمْ في نَقْط القرآن" ص 7 بقوْله: "الشَّكْلُ الَّذِي فِي الْكُتُبِ (هُوَ) مِنْ عَمَلِ الْخَلِيل، وهومَأْخُودٌ من صُوَرِ الْحُرُوفِ. فالضَّمَّةُ وَاوصَغِيرةٌ في أعْلَى الْحَرْفِ لِئَلاَّ تَلْتَبِسَ بالوَاوالمَكْتُوبَةِ. والكَسْرَةُ ياءٌ تَحْتَ الْحَرْفِ، والْفَتْحَةُ أَلِفٌ مَبْطُوحَةٌ فَوْقَ الْحرْفِ"
وإذا كانت الكِتابة العربية قد أصبحتْ واضِحة، بفضْل الشكل والإعجام، فهذا لا يَعني أنَّ استعمال الناس لهما كان في مُدة قَصيرة، بل تطلَّب ذلك عشرات السنين. ويَبقى السؤال هوكيْف يُمكن أنْ يفهَم ويكتُب الناس لُغة بدون نحو؟ تاريخ النحوهومَوضوع الفصل الثاني من هذا البحْث.

**ملاظة:**
هذه اللوحات المرافقة لهذه الدراسة كنا قد وعدناكم بها وها هي ذي نقدمها لكم تتميما للدراسة.

# النقوش العربية قبل الإسلام



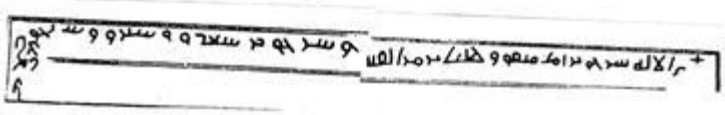

نقش زَبَد : 512م

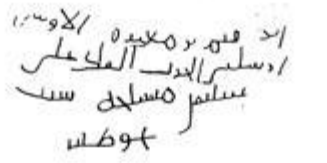

نقش أبيس : 528م

# النقوش العربية قبل الإسلام

(II)

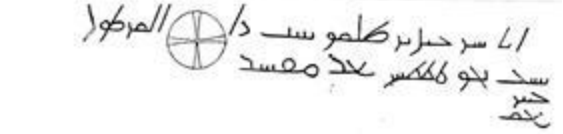

نقش حرّان: 568م

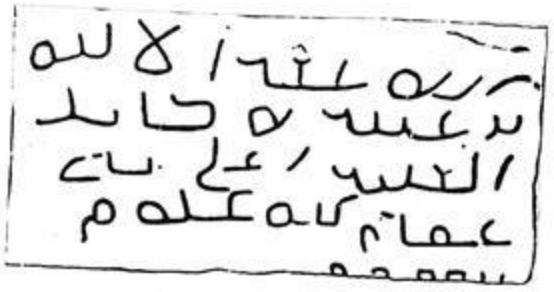

نقش أم الجمال الثاني: أوائل ق ٦م

# الكتابة في المرحلة الإسلامية: 610م / 661م

(1)

رسالة منسوبة إلى النبي

شاهدة قبر عبد الرحمن بن عبس الجهني
31 هـ / 652م

الكتابة في المرحلة الإسلامية : 610م / 661م

(٢)

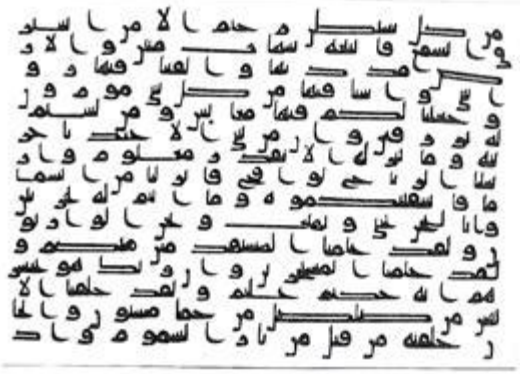

س 15 [الجن] آ 18 - 27 من مصحف منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب

س 7 [الأعراف] آ 1 - 8 من مصحف منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب

س 18 [الكهف]
آ 81-82
من مصحف منسوب
إلى الإمام الحسين
بن علي بن أبي
طالب

س 36 [يس]
آ 37-38
من مصحف منسوب
إلى الإمام الحسن
بن علي بن أبي
طالب

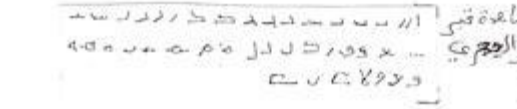

ورق من نسخة مخطوطة
عبد الرحمن بن خير الحجري
131هـ/652م

الكتابة في العهد الأموي: 40-132/661-750م ①

مصاحف منقوطة على طريقة أبي الأسود الدؤلي

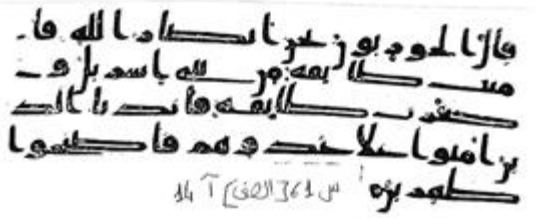

س 61 [الصف] آ 14

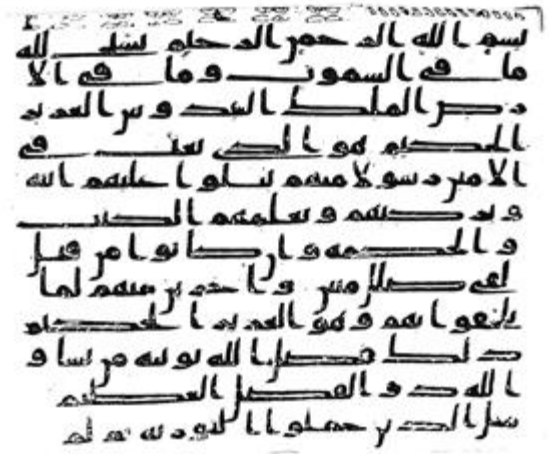

س 62 [الجمعة] آ 1-4

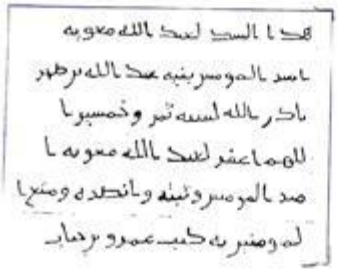
هذا ما شهد عليه معاوية
بن أبي سفيان شهد الله له بأنه
بايع الحسن بن علي رضي الله عنه
طائعا غير مكره وأشهد على نفسه
بذلك وكفى بالله شهيدا

شاهدة سد معاوية
678/458م

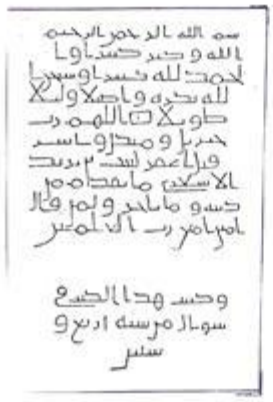
بسم الله الرحمن الرحيم
الله وحده كتبوا
لحمد لله شهدوا وسمعوا
لله وحده وأصغوا ولله
طوعا لله لهم ذ
حمدا ومدوا ذكره
فيما عهد إليه من بريد
الأسكن ما فعلوا من
شيء ما أمر وأمر فإنما
أمرهم ذي الله لهم

وكتب هذا الكتاب
سوار مرسله ادبح و
سلم

شاهدة قبر ثابت بن
يزيد الأسدي/الأشعري
684/64م

الكتابة في العصر الأموي : 60-132هـ / 680-750م

(٣٤)

النقش الداخلي لقبة الصخرة : 72هـ/692م

حروف عربية مأخوذة من بدايات السور القرآنية وأسمائها